الحملة الصليبية على مدينة بربشتر في الأندلس في عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م

The Crusade against Barbastro City in Al-Andalus in ٤٥٦ AH/ ١٠٦٣ AD

إعداد الباحثة
غادة بنت محمد بن حمد الغفيلي
الرقم الجامعي: ٢٠٠١١٠٠٢
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم التاريخ
جامعة الملك عبد العزيز – جدة

المستخلص:

حلت بمدينة بربشتر الواقعة في منطقة الثغر الأعلى الأندلسي مأساة من أعظم ما حدث لمسلمي الأندلس في عهد دويلات الطوائف حينما هاجمها الصليبيون في عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م، واستطاعوا اقتحامها وانتهاب المدينة وإبادة أغلب أهلها واسترقوا البقية، ثم انسحبوا تاركين حامية لهم في المدينة المنكوبة.

كانت مأساة بربشتر مؤشراً لبداية انحسار النفوذ السياسي الإسلامي من منطقة شمال الأندلس، وتولّد على إثرها عند عامة أهل الأندلس نوعٌ من القبول والتأييد لتدخل قوى خارجية من المغرب الإسلامي لإنقاذ الأندلس من ويلات حروب صليبية من ممالك النصارى في شمال إسبانيا بمباركة نصارى أوروبا وعلى رأسهم البابوية.

الكلمات المفتاحية: الحملة الصليبية - بربشتر- في الأندلس .

مقدمة البحث:

تقع مدينة بربشتر في منطقة الثغر الأعلى في شمال شرق الأندلس في موقع قريب من الحدود مع الممالك النصرانية في شمال إسبانيا، ولذلك فهي في جهاد دائم، وتعد من أهم القواعد الأندلسية. وقد هاجم الصليبيون مدينة بربشتر في عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م، وكان أغلبهم من النورمان والفرنسيين. وكان يحكم مدينة بربشتر أسرة بني هود التي انشغل أمراؤها بخلافاتهم السياسية وانصرفوا عن العناية بتحصين مدينة بربشتر فتركوها لمصيرها.

حاصر الصليبيون مدينة بربشتر قرابة أربعين يوماً ثم اقتحموها وانتهبوها وأبادوا أغلب أهلها واسترقوا البقية. وقد هزت هذه المأساة جميع البلاد الأندلسية، فتعالت الدعوات للجهاد، واستطاع المسلمون استرداد مدينة بربشتر في عام ٤٥٧هـ/١٠٦٤م.

وكانت هذه الحملة الصليبية من حملات النهب والسلب التي اعتاد النورمانديون القيام بها منذ سنوات خلال غاراتهم البحرية لكنها تسترت بالصبغة الصليبية، ويؤيد وجود الروح الصليبية في هذه الحملة أن مَن دعا إليها هو البابا إسكندر الثانيAlexander II (٤٠٣هـ - ٤٦٥هـ/١٠٦١م-١٠٧٣م) الذي أوكل القيادة العامة للجيوش البابوية والرومانية إلى قائد جيش النورمانديين.

ونظراً لأهمية هذه الحملة الصليبية من حيث كونها الأولى من نوعها في الغرب الإسلامي التي تمت بمباركة البابوية، وازدادت بعدها حروب الاسترداد الإسبانية ضراوة وشدة على مسلمي الأندلس؛ برزت فكرة هذا البحث لتسليط الضوء على هذه الحملة وتأثيرها على الوضع السياسي العام في الأندلس فيما بعد.

نبذة عن الوضع السياسي العام في شمال إسبانيا والأندلس وما يليهما من الجنوب الفرنسي قبيل الحملة الصليبية على بربشتر عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م.

دخلت شبه جزيرة إيبيرية[١] ضمن حدود العالم الإسلامي أول مرة بعد فتح المسلمين لها عام ٩٢هـ/٧١١م بقرار من الخلافة الأموية في دمشق، وعُرفت في التاريخ الإسلامي باسم الأندلس[٢].

وظلت الأندلس تابعة لبني أمية إلى ما بعد سقوط حكمهم في المشرق في عام١٣٢هـ/٧٤٩م حينما تمكن عبدالرحمن بن معاوية[٣](١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥م -٧٨٨م) من دخولها وحكمها تحت مسمى الإمارة الأموية وتلقب على إثر ذلك بالداخل، ثم أصبحت خلافة أموية[٤]، وفي عهد آخر خلفاء بني أمية دخلت الأندلس في فوضى سياسية خُلع فيها الخليفة

---

[١] شبه جزيرة إيبيرية: تقع في الجزء الجنوبي الغربي من أوروبا، وتشمل إسبانيا والبرتغال حالياً وكانت تعرف قديماً باسم إبارية وباطقة وإشبانية ثم سميت أندلس نسبة إلى قبائل الوندال الذين استوطنوها قبل القوط الغربيين. الحميري، محمد بن عبدالمنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس،ط٢،(بيروت: مكتبة لبنان،١٩٨٤م)،ص٣٢؛ عبدالرحمن علي الحجي، **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م**،ط٥،(دمشق: دار القلم،١٤١٨هـ/١٩٩٧م)،ص٣٧.

[٢] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**،.ط٢،(بيروت: دار التراث،١٣٨٧هـ)،ج٦،ص٤٦٨.

[٣]عبدالرحمن بن معاوية: حفيد هشام بن عبدالملك، وهوأول أمراء الأمويين في الأندلس، ولد في الشام عام ١١٣هـ/٧٣١م،كان من أهل العلم والعدل . الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، د.ط،(القاهرة:الدار المصرية للتأليف والترجمة ،١٩٦٦م)،ص٨-٩.

[٤]ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،تحقيق ومراجعة: ج.س.كولان،إ. ليفي بروفنسال،(بيروت: دار الثقافة،١٩٨٣م)،ج٢،ص٤٧، ١٥٢، ٢٣١.

الأموي، وتداول السلطة في فترات متقاربة عدد من أمراء بني أمية الذين تنازعوا الحكم فيما بينهم، فأدخلوا الأندلس في دوامة من الحروب الداخلية نتج عنها مقتل عدد كبير من المسلمين، وتدمير أحد أهم صروح الحضارة الأندلسية[١] وهي مدينة الزهراء[٢].

يئس أهل قرطبة[٣]Cordoba-عاصمة الخلافة الأموية- من أن يصل إلى الحكم رجل كفءٌ من بني أمية تستقر على يديه أمور الدولة، فأجمعوا أمرهم وقرروا إعلان إنهاء الخلافة الأموية في قرطبة عام ٤٢٢هـ/١٠٣٠م[٤] ، ودخلت الأندلس بذلك عهداً سياسياً جديداً عُرف باسم عهد دويلات الطوائف، وفي هذا العهد قُسّمت الأندلس إلى ست مناطق رئيسية تضم كل منها دويلة أو أكثر حتى بلغ عددها في بعض الأحيان عشرين دويلة[٥].

وتعد دويلة الثغر الأعلى في شمال شرق الأندلس من أهم دويلات الطوائف لاتساع رقعتها إلى جانب وقوعها بين ممالك نصارى إسبانيا[٦]، وكانت عاصمتها مدينة

---

(١) ابن عذاري، البيان،ج٣، ص٥٠ وما بعدها؛ ابن الخطيب، لسان الدين السلماني، **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق وتعليق: إ.ليفي بروفنسال،ط٢،(بيروت: دار المكشوف،١٩٥٦م)،ص١٠٩-١٣٨.

(٢)الزهراء: مدينة في غرب قرطبة بناها الناصر لدين الله عام ٣٢٥هـ/٩٣٧م ، وهي مدينة فوق مدينة وشكلت في جزئها الأعلى القصور يليها البساتين والحدائق ثم الديار والجامع وقد دمرت في أيام الفتنة القرطبية في أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٢٣٢؛ الحميري، الروض المعطار،ص٢٩٥.

(٣) قرطبة: قاعدة الأندلس وأهم مدائنها ، تقع في سفح جبل العروس،وهي اليوم عاصمة مقاطعة قرطبة جنوب دولة إسبانيا . الحميري، الروض المعطار،ص٤٥٦؛الموسوعة العربية الميسرة،ص٢٥٥٠.

(٤) ابن الأبار،أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي،**الحلة السيراء**،حققه وعلق حواشيه:حسين مؤنس،ط٢ ، (القاهرة :دار المعارف،١٩٨٥م)،ج١، ص٢٠٩؛ابن الخطيب ، أعمال الأعلام، ص١٤٧؛ حسين مؤنس،**معالم تاريخ المغرب والأندلس**،د،ط،(د.م: مكتبة الأسرة ،٢٠٠٤م)،ص٤١٥.

(٥) عبدالرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي،ص ٣٢٤؛ حسين مؤنس،معالم تاريخ المغرب والأندلس،ص٤١٥.

(٦) كانت أولى الممالك النصرانية في الشمال الإسباني هي مملكة أشتوريش وجليقية ، وكان ملكها يدعى بلاي أو بلايو ، وكان زعيم فلول القوط الغربيين المنهزمين من أمام جيوش الفتح الإسلامي إلى صخرة بلاي أو كهف دونقا في جبال كنتبرية الواقعة إلى الجنوب الشرقي من مدينة خيخون في إقليم أشتوريش على ساحل خليج بسكاي في شمال إسبانيا ، وفي نهاية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي وهو ما يوافق عهد الإمارة الأموية ظهرت من مملكة أشتوريش وجليقية –التي أصبح اسمها مملكة ليون – ممالك جديدة هي نبارة التي تفرعت منها مملكة أرغون وبرشلونة وكذلك مملكة قشتالة التي استقلت نهائياً عن مملكة ليون في منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وكانت العلاقة بين الممالك النصرانية مترددة بين عداء وتعاون، وقد توسعت مملكتا أرغون وقشتالة على حساب الممالك النصرانية الأخرى حتى اتحدتا بزواج ملك أرغون فرناندو الخامس بإيزابيلا ملكة قشتالة، وأثمر اتحادهما عن إسقاط مملكة غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي . ابن الخطيب، أعمال الأعلام،ص٣٢٢وما بعدها،عبدالرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي،ص ٢٦٦-٢٧٧.

سرقسطة[١]Zaragoza ولهذا تعرف أيضاً بدويلة (أو مملكة) سرقسطة، أما مدينة بربشتر[٢]Barbastro فهي إحدى المدن الحدودية في هذه الدويلة في الجزء الشمالي منها[٣].

وكانت منطقة الثغر الأعلى الأندلسي تحت حكم أسرة بني تُجيب[٤] لمدة قرن ونصف حتى أواخر عهد بني أمية في بداية القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي، ولما بدأ عهد دويلات الطوائف انتقل حكم معظمها إلى أسرة بني هود[٥].

وأسس أسرة بني هود أحد كبار الجند في منطقة الثغر الأعلى ويدعى سليمان بن محمد الملقب بالمستعين بالله[٦](٤٣٠-٤٣٨هـ/١٠٣٨-١٠٤٦م) الذي وصل إلى حكم الثغر الأعلى بالقوة على إثر ثورة قام بها أهل سرقسطة ضد التجيبيين، وقسّم المستعين بالله -قبل وفاته- المنطقة بين أبنائه، وكانت بربشتر من نصيب ابنه يوسف[٧] الملقب بالمظفر(٤٣٨-٤٧٢هـ/١٠٤٦-١٠٧٩م)[٨].

---

[١] سرقسطة: مدينة تقع في شرق الأندلس ، واشتهرت بمناعتها ، وتعرف بالمدينة البيضاء ، واشتق اسمها من قيصر أول من بناها. الحميري،الروض المعطار،ص٣١٧.

[٢] بربشتر: مدينة تتبع منطقة بربطانية أقصى شمال شرق الأندلس التي كانت بمثابة السد الفاصل بين المسلمين ونصارى الشمال الإسباني ،كما اشتهر عنها كونها مركز الثائر عمر بن حفصون الذي ثار على حكم بني أمية لمدة ٣٥ عاماً. ابن عذاري، البيان،ج٢، ص١٠٦؛ الحميري،الروض المعطار،ص٩٠.

[٣] عبدالرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي،ص ٣٥٥-٣٥٦.

[٤] بنو تجيب: هم بنو عدي وبنو أسعد ابنا أشرس بن شبيب بن السكون من قبيلة كندة، وأمهما تدعى تجيب بنت ثوبان من مذحج ونسبوا إليها،استقروا في الأندلس في سرقسطة وقلعة أيوب ودروقة. ابن حزم ،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد،**جمهرة أنساب العرب** ،(بيروت:دار الكتب العلمية،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص٤٢٩.

[٥] عبدالرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي،ص ٣٥٦؛ محمد عبدالله عنان،**دولة الإسلام في الأندلس**، ط٤،(القاهرة:مكتبة الخانجي،١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج٢،ص٢٧٠.

[٦] سليمان بن محمد: هو أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي،كان والي مدينة لاردة ثم أخذ ملك سرقسطة بعد مقتل آخر أمرائها من بني تجيب ويدعى المنذر بن يحيى ،توفي عام ٤٣٨هـ/١٠٤٦م. ابن الأبار ،الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٦.

[٧] يوسف بن المستعين بالله: هو حسام الدولة الملقب بالمظفر،حكم لاردة في حياة والده ، وكان شهماً بطلاً وقف نداً أمام أطماع أخيه أحمد بن المقتدر. محمد عنان،دولة الإسلام، ج٢،ص٢٧٢.

[٨] محمد عنان،دولة الإسلام، ج٢ ،ص٢٧٥.

ومن أهم ممالك نصارى شمال إسبانيا الواقعة على حدود دويلة الثغر الأعلى مملكة قطلونية[١] من الشرق، وأرغون من الشمال[٢]، ونبارة[٣] من الشمال الغربي، وقشتالة[٤] من الجنوب والغرب، وكان ملك نبارة غرسيه الثالث[٥] Garcia III (٤٢٧-٤٤٤هـ/١٠٣٥-١٠٥٤م) وملك قشتالة فرناندو الأول[٦] Fernando I (٤٢٧-٤٥٨هـ/١٠٣٥-١٠٦٥م) من أكثر الملوك النصارى تدخلاً في الحروب الأهلية التي قامت بين دويلة الثغر الأعلى في عهد المستعين وما يجاورها من دويلات الطوائف الأخرى، فقد عملا جاهدين في إذكاء الفتنة بين تلك الطوائف مما فت من عضد الجيوش الإسلامية في منطقة الثغور وصرف المسلمين عن توجيه طاقاتهم نحو مدافعة العدو الحقيقي المتربص بهم في شمال إسبانيا[٧].

وقد استبد أبناء المستعين بعد موته، ودخلوا في نزاعات داخلية فيما بينهم[٨]، وساروا على نهج والدهم بطلب العون من ملوك النصارى الإسبان ضد بعضهم، ولم تنته صراعاتهم إلا في أواخر القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي بانتصار أشد أبناء المستعين

---

[١] قطلونية: عرفت أيضاً باسم إمارة برشلونة ،وهي أصغر ممالك إسبانيا النصرانية ،اتحدت مع مملكة أراغون في عهد المرابطين،وتقع في شمال شرق الأندلس على ساحل البحر المتوسط ،كانت تابعة لفرنسا، وكان حكامها من آل برنجير . الحميري،الروض المعطار،ص٨٧؛ محمد عنان،دولة الإسلام، ج٣،ص٤٧٧، ٤٩٩.

[٢] أرغون: أول ما ظهرت كانت منطقة ضيقة جنوب جبال البرتات وأعالي حوض إيبرو وكان يحكمها راميرو الأول من أبناء الملك سانشو الكبير، ثم توسعت واتحدت مع إمارة برشلونة بعدما تزوجت بترونيلا ابنة راميرو الثاني ملك أرغون بكونت برشلونة ريموند برنجار الرابع. قاسم عبد سعدون الحسيني، **حركة الاسترداد الإسبانية: ثنائية الصراع بين المسلمين والنصارى في الأندلس**، (عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠٢٠م) ج٢، ص١٥، ١٨؛ يوسف أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ترجمة: محمد عبدالله عنان، تقديم: سليمان العطار، د.ط (القاهرة: المركز القومي، ٢٠١٤م) ج١، ص ١٨٨-١٨٩.

[٣] نبارة: تقع في بلاد الباسك في الشمال الإسباني وعاصمتها مدينة بنبلونة، وأول ملوكها شانسو غارسيا الأول ،حكم من عام ٣١٤هـ/٩٢٦م. عبدالرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي،ص ٢٧٥.

[٤] قشتالة: تقع بين مملكة ليون ونبارة،كان يحكمها زعيم محلي يسكن مدينة برغش،استقلت عن مملكة ليون في القرن الرابع الهجري/التاسع الميلادي. عبدالرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي،ص ٢٧٥.

[٥] غرسيه الثالث: هو ملك بنبلونة (نبارة) ،وابن الملك سانشو الثالث العظيم، وقعت حروب بينه وبين أخيه فرناندو الأول وقتل في إحدى معاركها وخلفه ابنه سانشو الرابع.

"Gracia III",Encyclopaedia Britannica Online From:http://global.britannica.com,access date, October ٢٣,٢٠٢٠.

[٦] فرناندو الأول: ملك قشتالة بأمر من أبيه سانشو الثالث العظيم ،وحكم مملكة ليون من خلال زواجه بوريثتها،هو أول حكام قشتالة يلقب بالملك وامبراطور ليون ، أجبر حكام طليطلة وإشبيلية وسرقسطة من المسلمين على دفع الإتاوات له.

"Fernando I",Encyclopaedia Britannica Online From:http://global.britannica.com,access date, October ٢٣,٢٠٢٠.

[٧] محمد عنان،دولة الإسلام، ج٢ ،ص٢٧٢.

[٨] خلال تلك النزاعات حدثت مأساة بربشتر.

طموحاً وهو أحمد[١]الملقب بالمقتدر بالله (٤٣٨-٤٧٤هـ/١٠٤٦-١٠٨١ م) الذي استطاع الاستئثار بحكم منطقة الثغر الأعلى وانتزاعها من إخوته، وتوسيعها لتشمل أجزاء مهمة من ساحل شرق الأندلس على حساب دويلات طوائف أخرى في منطقة الساحل[٢].

وتعد منطقة ساحل شرق الأندلس منطقة ذات أهمية إستراتيجية لوجود عدد من أهم المراكز البحرية في الأندلس ومنها طرطوشة[٣]Tortosa التي كانت تتبع إدارياً منطقة الثغر الأعلى، وتكمن أهمية هذه المراكز البحرية في أنها كانت تمثل قواعد بحرية لانطلاق هجمات البحارة الأندلسيين ضد سواحل أوروبية في فرنسا وإيطاليا[٤] إلى جانب كونها نقاط دفاع مهمة وحواجز صد منيعة أمام الأخطار التي كانت تهدد الأندلس من جهة البحر[٥] وأخطرها هجمات النورمانديين[٦].

وكانت أولى هجمات النورمانديين على الأندلس في عام ٢٢٩هـ/٨٤٣م واستطاعوا فيها إلحاق خسائر فادحة في صفوف الأندلسيين، وقد أظهر هجومهم هذا ضعف إمكانيات الدفاع البحري عند الأندلسيين، فقررت الإمارة الأموية تعزيز قوة الدفاعات البحرية[٧].

---

[١] أحمد بن المستعين بالله : حكم سرقسطة في حياة والده وضايق أخوته لانتزاع حكم بقية الثغر الأعلى واتصف بالقسوة حتى أنه سمل أعين بعضهم واتصف بالغدر والاستهتار، توفي عام٤٧٤هـ/ ١٠٨١م من عضة كلب وخلفه في الحكم ابنه المؤتمن. ابن عذاري، البيان،ج٣، ص٢٢٢؛ محمد عنان،دولة الإسلام، ج٢ ،ص٢٧٢-٢٧٣.

[٢] ابن الخطيب، أعمال الأعلام،ص١٧١؛ عبدالرحمن بن خلدون،**تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** ،ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس:خليل شحاتة ،مراجعة:سهيل زكار،د.ط ،(بيروت:دار الفكر،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)،ج٤،ص٢٠٩.

[٣] طرطوشة: طرطوشة: مدينة شرقي بلنسية وقرطبة على نهر إبرو. الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، د.ط،(بيروت:دارصادر،داربيروت،١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)،ج٤،ص ٣٠.

[٤] الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٥٣؛ ابن عذاري،البيان، ج١،ص ١٠٤، عصام سالم سيسالم، **جزر الأندلس المنسية، التاريخ الإسلامي لجزر البليار،٨٩-٦٨٥هـ/٧٠٨-١٢٨٧م**، (بيروت: دار العلم للملايين،١٩٨٤م)،ص ٨٠، ١٤٣.

[٥] ابن عذاري، البيان، ج٢،ص ٩٦-٩٧؛ خليل إبراهيم الكبيسي، غزوات النورمانيين على الأندلس في عصر الإمارة الأموية، **المؤرخ العربي**، السنة الرابعة عشرة، العدد ٤٠،(١٤٠٩هـ=١٩٨٩م):ص١٥٢-١٥٣.

[٦] النورمانديون: سماهم العرب مجوساً لعبادتهم النار قبل اعتناقهم المسيحية، وهم العناصر الشمالية التي سكنت شبه جزيرة سكندناوة وشبه جزيرة الدنمارك ويطلق عليهم الأردمانيون أو الفايكنج أو الدانيون . ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، د.ط،(القاهرة :دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني،١٤١٠هـ/١٩٨٩م)،ص٨٢؛ ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، تحقيق: عبدالرحمن علي الحجي، د.ط،(بيروت: دار الثقافة،١٩٨٣م)،ص٢٣؛ابن عذاري،البيان،ج٢،ص٨٧؛ سعيد عبدالفتاح عاشور، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، د.ط،(بيروت: دار النهضة العربية،١٩٧٢م)،ص١٧٣.

[٧] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٢-٨٣؛ السيد عبدالعزيز سالم، أحمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**،د.ط، (بيروت :دار النهضة العربية،١٩٦٩م)،ص ١٤٧.

وعاد النورمانديون إلى الهجوم على الأندلس في عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م، لكنهم وجدوا السواحل الأندلسية محروسة برباطات ودوريات بحرية فلم يتمكنوا من النزول فيها، فأغاروا على مدن في ساحل الشمال الإفريقي، وبعد ذلك حاولوا الهجوم مرة أخرى على الأندلس لكن هجومهم مُنيَ بالفشل، فتوجهوا إلى ساحل جنوب فرنسا واستولوا على إحدى مدن المنطقة ونهبوها وقضوا فيها فترة الشتاء في ذلك العام(١).

وجاء نجاح النورمانديين في التوغل في أراضي الجنوب الفرنسي حتى وصلوا إلى منابع نهر الرون(٢) Rhone في القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي نتيجة طبيعية للفوضى السياسية التي عاشتها فرنسا بعد وفاة الامبراطور الكارولنجي شارلمان Charlemagne (١٥١هـ-١٩٩هـ /٧٦٨م-٨١٤م) (٣)إثر الخلافات التي نشبت بين أفراد البيت الكارولنجي وأدت إلى زيادة نفوذ النظام الإقطاعي في عموم فرنسا على حساب السلطة المركزية الكارولنجية(٤).

عاد النورمانديون إلى الإغارة على فرنسا في عام٢٧٣هـ/٨٨٦-٨٨٧م، وفي هذا الهجوم لم يستطع الملك الكارولنجي شارل السمين Charles le Gros(٢٦٣-٢٦٩هـ/٨٧٦-٨٨٧م) (٥) رد هجومهم فتصدى لهم أمير إقطاعي هو أودو Eudes (٢٧٤-٢٨٥هـ/٨٨٧-٨٩٨م)(٦) من آل كابيه Capet(٧)، ونتج عن هذا عزل الملك الكارولنجي

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج٢، ص ٩٦-٩٧، خليل الكبيسي، غزوات النورمانيين،ص١٥٢.

(٢) نهر الرون: أو الرودنو وهو نهر بين سويسرا وفرنسا، طوله ٨١٢كم. الإدريسي، محمد بن محمد الحمودي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، د.ط، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية،١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) ،ج٢،ص ٧٤٠؛شكيب أرسلان، غزوات العرب، حاشية ١،ص ٥٣؛

"Rhone",Ency.Larousse Online,a partir de:
http://www.larousse.fr/encyclopedie,date d'acces,Octobre ٢٣,٢٠٢٠.

(٣) شارلمان: هو ابن بيبين القصير ابن شارل مارتل مؤسس دولة الفرنجة الكارولنجية، حكم عام١٥١هـ/٧٦٨م بعد وفاة والده على جزء من الامبراطورية واستفرد بحكم كامل الإمبراطورية بعد وفاة أخيه كارلومان عام ١٥٥هـ/٧٧١م، توفي شارلمان عام١٩٩هـ/٨١٤م . إينهارد، **سيرة شارلمان**، ترجمه وحققه وعلق عليه وقدم له: عادل زيتون، د.ط،(دمشق: دار حسان للطباعة والنشر،١٤١٠هـ/١٩٨٩م)،حاشية٢،ص ٤٦،ص ١٦١.

(٤) سعيد عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى،ص١٧٠؛ محمود سعيد عمران، **معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، د.ط،(د.م: دار المعرفة الجامعية ،د.ت)،ص١٨٣.

(٥) شارل السمين: هو شارل الثالث، إمبراطور وملك ألمانيا ثم إيطاليا ثم ملك الفرنجة الشرقيين ثم الغربيين، وهو ابن لويس الألماني وحفيد شارلمان.

" Charles le Gros",Encyclopaedia Britannica Online From:http://global.britannica.com,access date, October ٢٣,٢٠٢٠.

(٦) أودو: كونت مدينة باريس ابن روبرت القوي الذي ينحدر منه ملوك أسرة آل كابيه، وعلى الرغم من انتصاره على النورمانديين إلا أنهم استمروا في عمليات النهب في فرنسا خلال حكمه.

" Eudes",Encyclopaedia Britannica Online From:http://global.britannica.com,access date, October ٢٣,٢٠٢٠.

(٧) آل كابيه:أسرة إقطاعية سيطرت على الحكم في فرنسا في الفترة الإقطاعية من العصور الوسطى، وانحدر منها أسر مالكة مثل أسرة فالوا وبوربون، ومؤسسها هو روبرت القوي كونت أنجو وبلوا. أول ملوكها الذين تفردوا في حكم فرنسا هو هيو كابيه وآخرهم جون الأول.

وتنصيب أودو ملكاً على فرنسا، فبدأ بعدها النزاع على السلطة المركزية في فرنسا بين آل كابيه والكارولنجيين[١].

وخلال هذا الصراع نجح أحد الكارولنجيين وهو شارل البسيط Charles le simple (٢٨٠-٣١١هـ/٨٩٣-٩٢٣م)[٢] في الوصول إل حكم فرنسا وتحالف مع النورمانديين لمساعدته في حروبه ضد آل كابيه، وتنازل للنورمانديين عن أراضٍ في شمال فرنسا، أسسوا فيها دوقية نورماندي[٣]، ولكن الكارولنجيين لم يستطيعوا مقاومة نفوذ آل كابيه فآثروا الصلح وانسحبوا من باريس ولم يبق لهم إلا السلطة الاسمية، ولما توفي آخر الكارولنجيين بدون وريث استغل هذا الأمر أحد أقوى أمراء آل كابيه وهو هيو كابيه Huges Capet (٣٥٦-٣٧٧هـ/٩٦٦-٩٨٧م)[٤] فاعتلى عرش فرنسا، وانتقل التاج الفرنسي من الكارولنجيين إلى هذه الأسرة الإقطاعية التي استمر أبناؤها يحكمون فرنسا حتى عام٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م[٥].

والجدير بالذكر أن إمارات شمال وشرق فرنسا استمرت على ولائها للتاج الفرنسي تحت سلطة آل كابيه، بخلاف إمارات الجنوب الفرنسي التي كان اتصالها بسلطة آل كابيه

"Capetian dynasty",Encyclopaedia,Britannica,Online From:http://global.britannica.com,access date October,٢٣ ٢٠٢٠.

[١] محمود عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى،ص٢١٥.

[٢] شارل البسيط: من أحفاد البيت الكارولنجي حكم الجزء الغربي من الإمبراطورية، وقوي ملكه بعد وفاة الكونت أودو من عام٢٨٦هـ/٨٩٩م أو٢٧٤هـ/٨٨٧م واستمر في ملك فرنسا حتى مقتله عام٣١٧هـ/٩٢٩م . سعيد عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص ١٨٦؛

"Charles le Simple",Encyclopaedia,Britannica,Online From:http://global.britannica.com,access date October,٢٣ ٢٠٢٠.

[٣]نورماندي: منطقة في شمال فرنسا أقطعها شارل البسيط للفايكنق أو رجال الشمال بقيادة قائدهم رولو مقابل أن يتنصر ويصبح تابعًا للملك الكارولنجي وانتقل إليها عدد كبير من الاسكندنافيين واستوطنوها وتبنوا اللغة الفرنسية وأزياء الفرنسيين وعاداتهم.

"Normandie",Encyclopaedia,Britannica,Online From:http://global.britannica.com,access date October,٢٣ ٢٠٢٠.

[٤] هيو كابيه: ابن هيو العظيم، استقل بالسلطة الزمنية في فرنسا بعد وفاة آخر ملوك الكارولنجيين لويس الخامس، اقتصر نفوذه في البداية في إقطاعاته التي ورثها، وتركزت حول باريس ثم توسع نفوذ الأسرة في عهد من أتى بعده من أبنائه. محمود عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٢١٦؛

"Huges Capet",Encyclopaedia,Britannica,Online From:http://global.britannica.com,access date October,٢٣ ٢٠٢٠.

[٥] محمود عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى،ص٢١٦.

اتصالاً واهياً وفي مقدمتها أكويتين[١] Aquitaine، وتولوز[٢] Toulouse، وبرشلونة[٣] Barcelona التي كانت تتبع التاج الفرنسي آنذاك[٤].

استقلت برشلونة عن التاج الفرنسي لما ضعفت السلطة المركزية الكارولنجية في فرنسا، وأصبحت عاصمة لمملكة قطلونية الإسبانية التي حكمها منذ أوائل القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي أسرة بيرنجير ومؤسسها رامون بيرنجير الأول[٥] Ramon Berenguer I (٤٢٧-٤٦٩هـ/١٠٣٥-١٠٧٦م)[٦].

واستطاع رامون بيرنجير الأول توسيع نفوذ مملكته لتضم أراضي من الجنوب الفرنسي من ولاية لانجدوك[٧] Languedoc وولاية قرقشونة[٨] Carcassonne ، كما استطاع – من خلال المصاهرة-ضم أراضي ولاية بروفانس[٩] Provence الفرنسية[١٠]،وهذا يرجح من وجهة نظر الباحثة كوْن الفرنسيين الذين اشتركوا مع النورمانديين في الحملة على بربشتر قد قدم غالبيتهم من أراضي الجنوب الفرنسي؛ لقربها من حدود الممالك الإسبانية وبالأخص تلك الأراضي الخاضعة لمملكة قطلونية كما أن ضعف ولاء الفرنسيين

---

[١] أكويتين: منطقة في جنوب غرب فرنسا وتطل شواطئها على المحيط الأطلسي وعاصمتها بوردو Bordeaux.

"Aquitaine",Ency.Larousse,Online,a partir de: http://www.larousse.fr/encyclopedie ,date d'acces,octobre,٢٣ ٢٠٢٠.

[٢] تولوز: أو طلوشة وهي مدينة حسنة نبيلة لها قرى ومزارع وتبعد عن أربونة ١١٢,٦٥كم. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص ٧٣٩.

[٣] برشلونة: مدينة على البحر المتوسط تبعد عن طركونة ٥٠ ميلاً، أي تقريباً ٨٠,٤٧ كيلومتر، وهي قاعدة ملك القطلانيين. ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى، **كتاب الجغرافيا**، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه: إسماعيل العربي،(بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٧٠م)،ص١٨١؛ الحميري، الروض المعطار،ص٨٦-٨٧.

[٤] محمود عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص٢١٧.

[٥] رامون بيرنجير الأول: والده هو بيرنجير رامون الأول الذي قسم دولته بين أبنائه الثلاثة فتنازل الأخوان سانشو ووليام عن أملاكهما لأخيهما الأكبر رامون بيرنجير الأول، وهو الذي طور القوانين القوطية في برشلونة وأنشأ قوانين جديدة عرفت باسم (عرف برشلونة).

" Ramon Berenguer I "Encyclopaedia,Britannica,Online From:http://global.britannica.com,access date October,٢٣ ٢٠٢٠.

[٦] محمد عنان، دولة الإسلام، ج١،ص٢٣٦؛ يوسف أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ترجمة: محمد عبدالله عنان، د.ط (القاهرة: المركز القومي للترجمة،٢٠١٤م)،ج١،ص٢٨.

[٧] لانجدوك: منطقة في جنوب فرنسا بجانب أكويتين وهي منطقة تاريخية ثقافية.

"Languedoc",Encyclopaedia,Britannica,Online From:http://global.britannica.com,access date October,٢٣ ٢٠٢٠.

[٨] قرقشونة: تقع في جنوبي فرنسا وبداخلها مدينة قديمة مسورة من العصور الوسطى، وصفها الإدريسي بأنها مدينة حسنة في سفح الجبل وينبت فيها الكروم. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢،ص٧٣٤.

[٩] بروفانس: منطقة قديمة في جنوب فرنسا، وتمتد من نهر الرون في الغرب إلى الحدود الإيطالية في الشرق.

"Provence",Encyclopaedia,Britannica,Online From:http://global.britannica.com,access date October,٢٣ ٢٠٢٠.

[١٠] يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١،ص٢٨-٢٩.

فـي الجنـوب الفرنسـي لأسـرة آل كابيـه يسـوغ وجـودهم فـي خنـدق واحـد مـع النورمانـديين -حلفـاء الكارولنجيين وأعداء آل كابيه القدامى.

أسباب ودوافع الحملة الصليبية على بربشتر عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م:

دعـا البابـا إسـكندر الثـاني[١] Alexander II(٤٥٣-٤٦٦هـ/١٠٦١-١٠٧٣م) إلـى قيـام حملـة صـليبية ضـد مسـلمي الأنـدلس اسـتجابة لنـداء اسـتغاثة وجهـه سانشـو[٢] Sancho Ramirez(٤٥٦-٤٨٧هـ/١٠٦٣-١٠٩٤م) ملـك أرغـون إلـى البابويـة لإنقـاذ مملكتـه مـن الوقـوع الوشـيك تحـت سـيطرة مسـلمي الأنـدلس بعـد أن تمكنـوا مـن هزيمـة والـده راميـرو الأول [٣] Ramiro I (٤٢٧-٤٥٥هـ/١٠٣٥-١٠٦٣م) وقتلـه فـي معركـة جـرادوس[٤] فـي عـام٤٥٥هـ/١٠٦٣م، وكانـت القـوات الإسـلامية فـي هـذه المعركـة بقيـادة أحمـد المقتـدر بـالله مـن بنـي هـود، وسـاعده فـي القتـال قـوات نصـرانية مـن مملكـة قشـتالة التـي كانـت علـى خـلاف مـع مملكـة

---

[١] البابـا إسـكندر الثـاني: ولـد فـي مدينـة بـاجيو لأبـوين نبيلـين، وقـاد حركـة الإصـلاح الكلـوني فـي مدينـة مـيلان، حدث بينه وبين أسقف بارما كادلوس صراع على كرسي البابوية، توفي عام ٤٦٦هـ/١٠٧٣م.

"Alexander II",Catholic Encyclopedia Online ,From: https://www.newadvent.org/cathen/ access date, November ٤,٢٠٢٠.

[٢] سانشـو راميـرو الأول: ورث حكـم مملكـة نبـارة بعـد مقتـل سانشـو الرابـع وتلقـب بسانشـو الخـامس، اسـتولى علـى وشقة ومنتشون من المسلمين ومات متأثراً بجراحه خلال حصار وشقة في عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م.

"Sancho Ramirez",Encyclopaedia Britannica Online From:http://global.britannica.com,access date, November ٤,٢٠٢٠.

[٣] راميـرو الأول: أول ملـوك أرغـون، وهـو ابـن غيـر شـرعي لملـك نبـارة سانشـو الثالـث، ورث أراضـي مملكـة أخيـه جونزالـو واسـتطاع توسـيع رقعـة مملكتـه واسـتولى علـى أراض مـن ولايـات سرقسـطة ولاردة ووشـقة التـابع للثغـر الأعلى الإسلامي.

"Ramiro I",Encyclopaedia Britannica Online From:http://global.britannica.com,access date, November ٧,٢٠٢٠.

[٤] جـرادوس: هـي مـن مـدن الثغـر الأعلـى إلـى الشـمال الشـرقي مـن بربشـتر، علـى نهـر إسـيرا بـالقرب مـن ممـر جاقـة في جبال البرتات.

"Graus" Google maps online , From : https://www.google.com.sa/maps/ access date November ٤,٢٠٢٠.

أرغون[١]، وقد شبهت هذه المعركة التي قتل فيها ملك أرغون بمعركة ملاذكرد[٢] التي انتصر فيها السلاجقة[٣] وكانت من أسباب الدعوة إلى قيام الحروب الصليبية في المشرق[٤].

وقد كانت الصراعات على النفوذ السياسي محتدمة بين الممالك النصرانية في الشمال الإسباني في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ولهذا لم يلجأ سانشو ملك أرغون إلى النصارى الإسبان لطلب العون، وإنما توجه إلى مركز النصرانية المتمثل بالبابوية في روما، فقد كان والده راميرو الأول يدفع سنوياً إلى البابا إتاوات تقدر بعشر إيرادات دولته وعشر الأموال التي كان يأخذها من حكام مدن الثغر الأعلى من المسلمين، واضعاً بذلك مملكته تحت حماية الكنيسة في روما من أطماع فرناندو الأول ملك قشتالة الذي يعد أقوى ملوك النصارى الإسبان في تلك الفترة[٥].

كان من أوائل من تبنى دعوة البابوية دير مدينة كلوني[٦] في فرنسا، كما استجاب لها بحماسية عالية عدد كبير من النبلاء الفرنسيين من كبرى العائلات النبيلة لاسيما في الجنوب

---

[١] محمد عنان، دولة الإسلام، ج٢، ص ٢٨٠؛ يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس، ص١٩-٢٠.

[٢] معركة ملاذكرد: معركة حدثت في منطقة تسمى ملاذكرد من أعمال أخلاط بين السلاجقة بقيادة ألب أرسلان والبيزنطيين بقيادة رومانوس الرابع عام ٤٦٣هـ/١٠٧١م،وانتصر فيها المسلمون وأسروا رومانوس الرابع الذين افتدى نفسه بمبلغ كبير من المال، ومن أهم نتائج هذه المعركة أنها يسرت الطريق للقضاء على نفوذ البيزنطيين في آسيا الصغرى ومهدت لقيام دولة سلاجقة الروم. ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني، **الكامل في التاريخ**، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق،(بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٠٧هـ)،مجلد ٨،٣٨٨-٣٨٩؛ محمد عبد العظيم أبو النصر، **السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري**، (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،٢٠٠١م) ص٨٥-٨٦.

[٣] السلاجقة: ينحدر السلاجقة من قبيلة (قنق) التركمانية وهي من قبائل الغز الذين استوطنوا بلاد ما وراء النهر وعرفوا باسم الترك، وينتسبون إلى جدهم سلجوق بن دقاق الذي أسلم حينما هاجر إلى أراضي محيطة بنهر سيحون وبدأ يشن الغارات على الترك الوثنيين في المنطقة وسار على نهجه أبناؤه من بعده وبدأ نفوذ القبيلة يتعاظم في ما وراء النهر واتجهوا في التوسع غرباً على حساب دول إسلامية في المشرق الإسلامي وعلى رأسها الدولة الغزنوية، واستطاعوا بقيادة زعيمهم طغرل بك دخول العراق ومساعدة الدولة العباسية على التخلص من نفوذ البويهيين الشيعة في أراضي الخلافة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. علي محمد الصلابي، **دولة السلاجقة**، (لبنان: المكتبة العصرية،٢٠٠٩م) ص ٢٣-٥١.

[٤] Charles Julian Bishko, Fernando I and the Origins of the Leonese-Castilian Alliance With Cluny ,study II,**Cuadernos de Historia de España** ٤٧ (١٩٦٨), ٣١-١٣٥ and ٤٨.From: THE LIBRARY OF IBERIAN RESOURCES ONLINE,Studies in Medieval Spanish Frontier History. http://libro.uca.edu/frontier/bishko٢b.htm , access date NOV. ٤,٢٠٢٠.

[٥] يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس، ص١١-٢٢.

[٦] كلوني: هي مدينة في وسط شرق فرنسا في منطقة بورغندي، اشتهرت بديرها الذي تأسس منذ ١١ قرناً ومنه انطلقت حركة إصلاحية إلى عموم أوروبا.

"Cluny",Encyclopaedia Britannica Online From:http://global.britannica.com,access date, November ٤,٢٠٢٠.

الفرنسي، وبالتحديد في ولايات جبال البرتات[١]، الذين كانت تربطهم علاقات دم ومصاهرات مع مملكة أراغون، ولهذا قيل عن هذه الحملة بأنها حملة صليبية فرنسية[٢].

ويحظى دير كلوني بشهرة واسعة بين نصارى أوروبا، وقد وسّع إلى كاتدرائية في أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ولم تكن الدعوة إلى قيام حرب صليبية ضد المسلمين في الغرب الإسلامي جديدة من نوعها بالنسبة لهذا الدير، فقد سبق أن دعا إليها رئيسهم الراهب الفرنسي مايلوس[٣] Miaolus الذي يعد أول رجل دين نصراني يدعو إلى قيام الحروب الصليبية ضد المسلمين في فرنسا، وكان ذلك بعد أن وقع أسيراً في قبضة مسلمي الأندلس حينما كانوا يحتلون مواقع لهم في فرنسا في عام٣٦٢هـ/٩٧٢م إبان فترة حكمهم لإمارتهم (إمارة فرخشنيط) في جنوب وغرب فرنسا، أي قبل دعوة البابا أوربان الثاني[٤] Urban II (٤٨٠-٤٩٢هـ/١٠٨٧-١٠٩٨ م) إلى قيام الحملات الصليبية في المشرق في خطبته الشهيرة في كليرمونت[٥] في عام ٤٨٩هـ/١٠٩٥م، بل إن البابا أوربان الثاني أراد الاستفادة من شهرة دير كلوني بين النصارى فزار الدير، وبارك توسعته وذلك قبل شهر واحد من إعلانه بداية الحملة الصليبية الأولى، وبعد أن ألقى خطبته تلك ذهب ليصلي على قبر مايلوس، وكأنه يريد تذكير الجموع الصليبية بدعوات هذا الراهب الذي كان له مكانة كبيرة في نفوس أمراء أوروبا وقادتها[٦] .

إن حماس الفرنسيين للنصرانية الكاثوليكية ظاهرٌ بشكل جليّ لكل من يطلع على تاريخ فرنسا في العصور الوسطى؛ فقد كانت لهم مبادرات في الدفاع عن البابوية والمذهب الكاثوليكي منذ أن اعتنق ملك فرنسا الأسبق كلوفيس الأول[٧] Clovis I (٤٨١-٥١١م)

---

[١] جبال البرتات: منطقة جبلية تفصل فرنسا عن إسبانيا، وتعرف بمنطقة الأبواب لوجود أبواب أو ممرات تخترقها عددها خمسة ممرات من أهمها ممر جاقة وبيونة ولولا وجودها لاتصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢،ص ٧٣٠؛ عبدالرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي،ص٩٦، ٩٨.

[٤] Charles Julian Bishko, op. cit

[٣] مايلوس: كبير أساقفة دير كلوني، أحسن إليه المسلمون في أسره وكانوا يصنعون له طعاماً خاصاً، وقد وصفهم في رسالة الفداء التي أرسلها إلى دير كلوني أنهم أتباع أمير الظلام إبليس، ويوجد قبره في منطقة السافوي في فرنسا. شكيب أرسلان، غزوات العرب، ص٢٥٩-٢٦٠؛

Mohammad Ballan,Fraxinetum:an Islamic Frontier State In The Tenth-Century Provence,Comitatus:A journal Of Medieval and Renaissance Studies,٤١(٢٠١٠): ,PP ٣٠-٣٢,note٣٣,P ٣٢.

[٤] أوربان الثاني: فرنسي من رهابنة دير كلوني كان مساعداً للبابا جريجوري السابع رائد الحركة الإصلاحية الكنسية ويعزو الفضل لأوربان في إنجاح هذه الحركة، توفي في روما عام٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م.

"Urban II",CatholicSaints Online From:http://catholicsaintsinfo.com,access date November ٤, ٢٠٢٠.

[٥] كليرمونت: مدينة في جنوب وسط فرنسا إلى الغرب من ليون.

"Clermont-ferrand",Encyclopaedia Britannica Online From:http://global.britannica.com,access date November ٤, ٢٠٢٠.

[٣] Ballan,Fraxinetum,PP ٣٠-٣٢,note٣٣,P ٣٢; Scott.G.Bruce , **Cluny and The Muslims Of La Garde-Freinet**,(Ithaca and London:Cornell University Press,٢٠١٥),٣١.

[٧] كلوفيس الأول: ابن شيلدريك وهو مؤسس الأسرة الميروفنجية التي استمرت تحكم بلاد الغال لمدة ٢٠٠عام، كان وثنياً واعتنق النصرانية الكاثوليكية بتأثير زوجته كلوتيلدا في عام ٤٩٦م، وعندها عدّته البابوية بمقام قسطنطين الأول (الجديد).

الديانة النصرانية[١]، ولهذا لا يعد مستغرباً اشتراك الفرنسيين مع الإسبان في أية حرب ضد مسلمي الأندلس منذ وقت مبكر. فضلاً على ذلك كان للجغرافيا دورها في وجود الدافع القومي عند الفرنسيين إلى جانب الدافع الديني؛ لوقوع فرنسا على حدود إسبانيا، الأمر الذي أدى إلى حدوث مواجهات متكررة بينهم وبين مسلمي الأندلس منذ بداية ما يسمى بعهد الفتح[٢] في التاريخ الأندلسي[٣]، ومن أشهر المواجهات بين الفرنسيين ومسلمي الأندلس التي حدثت داخل إسبانيا هجوم شارلمان على مدينة سرقسطة-عاصمة الثغر الأعلى الأندلسي- لكنه باء بالفشل، ولم يحقق ما كان يرجوه من طرد المسلمين من الأندلس، إلا أنه استطاع أن يضم أجزاء من شمال إسبانيا إلى دولته كخطوط دفاع متقدمة ضد أية غارات من الأندلس نحو الأراضي الفرنسية[٤].

لقد كانت البابوية بصفتها الرئيس الأعلى لنصارى الغرب والمذهب الكاثوليكي تساند أي قوة ناشئة في أوروبا وتسخرها للدفاع عن النصرانية ومحاربة المد الإسلامي، ومنذ أوائل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي برزت قوة النورمانديين، وكان دخولهم في النصرانية بتدخل ملك فرنسا شارل البسيط[٥]مسوغاً أمام البابوية لاستغلال قوتهم من أجل توجيه ضربة للقوى الإسلامية في الغرب الأوروبي وفي مقدمتها الأندلس[٦] التي يرزح فيها نصارى الإسبان تحت سلطة إسلامية، مما يجعلهم محل إشفاق من البابوية خاصة بعد اعتناقهم المذهب الكاثوليكي[٧].

"Clovis I",Encyclopaedia Britannica Online From:http://global.britannica.com,access date, November ٤,٢٠٢٠.

[١] عادل سعيد بشتاوي،**الأندلسيون المواركة**،(القاهرة: إنترناشيونال برس،١٩٨٣م)،ص٥٣؛محمد العروسي المطوي،**الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**،ط٢،(د.م:دار الغرب الإسلامي،١٩٨٠م)،ص١٨٦.

[٢] عهد الفتح: بدأ منذ أن فتح المسلمون شبه الجزيرة الإيبيرية بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير في عام ٩٢هـ/٧١١م واستمر لمدة أربع سنوات. عبدالرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي،ص٣٩.

[٣] من أقوى المعارك بين المسلمين والفرنسيين في التاريخ المبكر للإسلام في الأندلس :معركة بلاط الشهداء وهي من غزوات المسلمين في بلاد الفرنجة حدثت عام ١١٤هـ/٧٣٢م ،انتصر فيها الفرنجة بقيادة شارل مارتيل،واستشهد فيها قائد المسلمين ووالي الأندلس يومئذ وهو عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي العكي ولي على الأندلس عام ١١٣هـ/٧٣١م وهو من التابعين وكانت ولايته سنة وثمانية أشهر.للمزيد انظر: الحميدي،جذوة المقتبس،ص ٢٧٤؛ ابن عذاري،البيان،ج٢،ص ٢٨؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ،مج٤،ص ٤٠٤؛ شكيب أرسلان،تاريخ غزوات العرب، ص٨٩-٩٢؛عبدالرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي، ص ١٩٣-١٩٥؛محمد عنان،دولة الإسلام ،ج١،ص٨٨، ٩٠-٩١، ٩٨-١٠١.

[٤] ابن الأثير، الكامل في التاريخ،مج٥،ص ٢٦٤؛ إينهارد، سيرة شارلمان، حاشية١،ص ٧٩ ؛عادل بشتاوي،الأندلسيون المواركة، ص٥٠؛عبدالرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٢١٨-٢٢٦، محمد عنان، دولة الإسلام ،ج١،ص٢٢٧-٢٣٥,

[٥]"Charles le Simple",Encyclopaedia,Britannica,Online From:http://global.britannica.com,access date October,٢٣ ٢٠٢٠.

[٦]أو ضد أي عدو يهدد البابوية وذلك قياساً من الباحثة على مواقف سابقة للبابوية ناحية ملوك أوروبيين أقوياء مثل كلوفيس مؤسس الأسرة الميروفنجية وشارل مارتيل مؤسس الأسرة الكارولنجية في فرنسا. عادل بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص٥٠

[٧]محمد المطوي، الحروب الصليبية، ص١٨٨-١٨٩.

وغدا الصليب شعاراً لغزوات النورمانديين منذ أن دخلوا في النصرانية[١]، وأصبحوا كغيرهم من النصارى يحجون إلى كاتدرائية سانتياغو في كمبوستيلا [٢]في الشمال الإسباني، وقد عُرف عن أحد نبلائهم[٣] ممن حج إلى تلك الكاتدرائية مبادرته للاشتراك في الحملة الصليبية على بربشتر استجابة لدعوات الكنائس المحلية في إسبانيا، كما عُرف عن حكام صقلية من النورمانديين سخاؤهم في التبرعات لكنائس جنوب إيطاليا، مما يرجح وجود دافع ديني لديهم[٤].

إن منح البابوية لأحد قادة النورمانديين ألقاباً تشريفية[٥] يضفي على حروبهم ضد المسلمين سمة الحرب المقدسة التي يباركها بابا روما، وهذا بدوره يحفز نصارى أوروبا -بما فيهم نصارى إسبانيا- للانضمام تحت راية أولئك النصارى الجدد (النورمانديون)، وليس بجديد على البابوية منح الألقاب التشريفية لملوك أوروبا الأقوياء لاستقطابهم لخدمة أهدافها؛ فقد سبق أن منحت شارلمان وهو أقوى ملوك الأسرة الكارولنجية لقب (إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة)[٦] .

وقد بادر الإسبان من مملكة قطلونية للمشاركة في هذه الحملة إلى جانب مملكة أراغون [٧]، تلبيةً لدعوات أساقفة كنيسة قطلونية التي استجابت لنداء البابوية[٨]، ويبدو أن مشاركة إسبان قطلونية اقتصرت على فرسان المملكة ونبلائها ولم تكن مشاركة رسمية من ملكهم رامون بيرنجر الأول الذي لم يرد اسمه في هذه الحملة[٩].

كما يُرجح أن الإسبان من مملكة قشتالة قد شاركوا كذلك فيها، على الرغم من الخلافات بين الممالك النصرانية في شمال إسبانيا[١٠]، متأثرين بحماس دير كلوني لهذه الحملة، أكثر من التزامهم بدعوة البابوية؛ وذلك لسببين - كما ترى الباحثة:

السبب الأول: أنه كان لدير كلوني نشاطٌ مؤثرٌ في مملكتي قطلونية وقشتالة وهما من أقوى الممالك الإسبانية المحاذية لجبال البرتات، كما كان لملك قشتالة فرناندو الأول علاقات صداقة

---

[١] يمكن ملاحظة وجود الصليب في جميع أعلام الدول الأوروبية التي نزح منها النورمان حتى هذا اليوم.

[٢] كاتدرائية سانتياغو في كمبوستيلا:أو سانت جيمس وهي محل مزار وحج عند النصارى الكاثوليك بعد بيت المقدس وروما وبنيت فوق رفات جيمس الرسول أو الحواري يعقوب في مدينة كمبوستيلا في منطقة جاليسيا أو جليقية في أقصى شمال غرب إسبانيا، وذكرت في المصدر الإسلامي باسم شنت ياقوب.

الحميري،الروض المعطار،ص٣٤٨؛

"Cathedral of Santiago",Encyclopaedia,Britannica,Online From:http://global.britannica.com,access date November ,١٠ ٢٠٢٠

[٣] هو النبيل النورماندي والتر جيفارد الذي أحضر معه خيلاً أندلسية بعد حجته إلى كاتدرائية سانتياغو وأهداه إلى وليام الفاتح الذي ركبه في معاركه، وقد عرف النورمانديون الخيول الأندلسية قبل غزوهم لإنجلترا.

Villegas-Aristizabal, Lucas ,**Norman and Anglo-Norman Participation in the Iberian Reconquista c.١٠١٨-c.١٢٤٨**,(Nottingham: University of Nottingham Press, ٢٠٠٧),٨٦-٨٧.

[٢] Ibid,٨٥.

[٤] محمد عنان،دولة الإسلام، ج٢،ص٢٧٤.

[٦] محمد المطوي، الحروب الصليبية،ص١٨٨-١٨٩,

[٥]Charles Julian Bishko, Fernando I and the Origins of the Leonese-Castilian Alliance With Cluny,١٣١-١٣٥.

[٦]Villegas-Aristizabal, Lucas ,op.cit, ٨١.

[٧] Villegas-Aristizabal, Lucas ,Norman and Anglo-Norman Participation in the Iberian Reconquista,٨٢,٩٣

[١٠] يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١، ص١٧-٢٠.

طويلة الأمد مع نبلاء منطقة بورغندي[١] الفرنسية التي يقع فيها دير كلوني[٢]، والذين أظهروا كذلك حماساً كبيراً لدعوة البابوية[٣] .

السبب الثاني: أن الإسبان لم يكونوا جميعهم -في بادئ الأمر- معترفين بسلطة البابا عليهم، على الرغم من العلاقات الجيدة بين فرناندو الأول ملك قشتالة والبابوية بقيادة إسكندر الثاني[٤]، وكان الإسبان ينطلقون في حروبهم ضد مسلمي الأندلس بمباركة كنائسهم المحلية، ومنذ بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي بدأت تلك الكنائس تتأثر بفكرة الحرب المقدسة التي طورتها حركة الإصلاح الكنسي في البابوية[٥]، لكن لم يعترف جميع نصارى إسبانيا بسلطة البابوية وإشرافها عليهم إلا بعد هذه الحملة[٦] وبالتحديد في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[٧].

لقد اجتمعت لدى الإسبان الدوافع الدينية والقومية كما الفرنسيين غير أن الدوافع القومية لدى الإسبان كانت أقوى؛ فالإسبان يرون مسلمي الأندلس غزاة ودخلاء، وأن الأرض الإسلامية التي وُجهت نحوها الحملة الصليبية هي بالأساس أراضيهم وأملاكهم، ولذا عُرفت حروبهم ضد المسلمين منذ بداية عهد الفتح بمسمى حروب الاسترداد[٨]، وترى الباحثة أنه لولا وجود الدافع الديني الذي أذكته دعوة البابوية وانضوى تحتها مختلف الصليبيين المشتركين في هذه الحملة من غير الإسبان لاسيما النورمانديين لكان للدافع القومي عند الإسبان دوره في إحداث شرخ في وحدة الصف الأوروبي في هذه الحملة، واعتبار الأوروبيين الوافدين على أراضيهم غزاة وجب مقاومتهم كما يقاومون المسلمين[٩].

---

[١] بورغندي: وتعرف أيضاً باسم برغونية و برغون، قال عنها الإدريسي: "هي كثيرة القرى والمنافع، ومتصلة المزارع، ورجالها أهل حرب، وهم صميم الفرنجة". الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٧٤٤.

[٢] تأصلت هذه العلاقة في سنوات لاحقة وازدادت قوة حينما تزوجت حفيدة فرناندو الأول (أوراكا) بأحد نبلاء بورغندي وأنجبت منه وريث عرش قشتالة فيما بعد الملك ألفونسو السابع(السليطين) الذي كان في صغره تحت وصاية رئيس أساقفة طليطلة وهو فرنسي من مدينة كلوني . عبدالرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي،ص٣٢٩.

"Alfonso I",Encyclopaedia,Britannica,Online From:http://global.britannica.com,access date November ,١٠ ٢٠٢٠.

[٣] Charles Julian Bishko, Fernando I and the Origins of the Leonese-Castilian Alliance With Cluny,١٣٥-٣١.

[٤] يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١، ص٢٢.

[٥] Villegas-Aristizabal, Lucas, op.cit, ٨٢.

[٦] سوف تشير الباحثة إلى هذا الحدث في الفصل الثاني كأحد نتائج الحملة الصليبية على بربشتر.

[٧] محمد المطوي، الحروب الصليبية، ص١٩٠.

[٨] حروب الاسترداد: حروب مقاومة نصرانية نشأت بعد دخول المسلمين شبه جزيرة إيبيرية وتكونت أولى نواتها عام ٩٨هـ/٧١٨م على يد القائد القوطي بلاي، ولقيت تأييداً من البابوية ودعماً من الصليبيين في أوروبا خاصة من فرنسا ومرت بعدة مراحل وأطوار تفاوت فيها قوة حروبها بحسب قوة الحكم الإسلامي في الأندلس وتوجت مرحلتها الأخير بإسقاط مملكة غرناطة آخر صرح سياسي للإسلام في الأندلس في أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. الحسيني، حركة الاسترداد الإسبانية، ج١، ص١٠٣-١٠٩.

[٩] كما حدث حينما عبر شارلمان بجيشه جبال البرتات لغزو الأندلس في عهد الإمارة الأموية، فلما مر من عاصمة نبارة تصدى له الإسبان النصارى وهاجموا جيشه. محمد عبدالله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج١، ص١٧٣-١٧٦.

ومما يؤكد الحضور القوي للدافع القومي عند الإسبان في حروبهم ضد مسلمي الأندلس ما ورد في رد فرناندو الأول ملك قشتالة على أهل طليطلة حينما ألمحوا له رغبتهم باستدعاء البربر للدفاع عنهم ضد هجماته، فقال لهم:

" ...إنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديماً في أول أمركم، فقد سكنتموها ما قضي لكم، وقد نُصرنا الآن عليكم برداءتكم، فارحلوا إلى عدوتكم، واتركوا لنا بلادنا فلا خير لكم في سكناكم معنا بعد اليوم، ولن نرجع عنكم، أو يحكم الله بيننا وبينكم "[١].

لقد بلغت الحضارة الأندلسية أوجها في عهد الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر لدين الله[٢]، ولما دخلت الأندلس في عهد دويلات الطوائف كانت لاتزال تنعم بإرث حضاري ضخم من بقايا العهود السابقة شمل نواحي الحياة المختلفة، وظهر أثره في العمران والاقتصاد والعلوم والحياة الرغيدة المرفهة لعامة أهل الأندلس، ولم يكن هذا خافياً على نصارى أوروبا التي كانت كبرى مدن الأندلس وجهاتهم المفضلة لنهل العلوم وتعلّم فنون الحياة الكريمة[٣]، وأكثر أولئك النصارى اطلاعاً على ثراء الأندلس وغناها هم الإسبان لطول المجاورة بينهم وبين الأندلسيين، فحينما طلب أهل طليطلة من فرناندو الأول تخفيض الإتاوة السنوية لعدم قدرتهم على تحملها، رفض طلبهم واصفاً سقوف دور أهل طليطلة أنها من الذهب في إشارة منه إلى ثراء أهلها[٤]، كذلك لم يكن ثراء الأندلس خافياً على الفرنسيين لاسيما من ولايات جبل البرتات لقربهم من الأندلس[٥]، أما النورمانديون فقد كان نجاح هجمتهم الأولى على الأندلس في العهد الأموي كافياً ليقفوا على ثراء الأندلس وتفوق حضارتها، ولهذا لا يمكن تجاهل الدوافع الاقتصادية المحركة للصليبيين في حروبهم ضد الأندلس، إلى جانب الدوافع الدينية، والقومية عند بعضهم، كما أُشير إليه فيما سبق.

إن اشتراك بعض الصليبيين في حروبهم مع المسلمين كمرتزقة ضد إخوانهم النصارى[٦] يرجح حضور الدافع الاقتصادي في نفوس أولئك النصارى أكثر من غيره من الدوافع الأخرى لاسيما عند الذين يمثلون جهات غير رسمية في الدولة النصرانية[٧]، وأن الدافع الديني قد تُرفع رايته وقت الحاجة لتبرير الأحقية في الأسلاب والغنائم والثروات التي يحصل عليها الصليبيون الوافدون إلى الأندلس تحت مسمى الحملات الصليبية، فعلى سبيل المثال: عُرف عن النورمانديين قيامهم بحملات بحرية كاسحة وسريعة لأهداف النهب والسلب

---

[١] ابن عذاري، البيان، ج٣، ص٢٨٢.

[٢] المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس،(بيروت: دار صادر،١٩٠٠م)،ج١،ص٣٦٦.

[٣] عبدالرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٠٢-٣٠٣، ص٤٠٩ وما بعدها.

[٤] ابن عذاري، البيان، ج٣، ص٢٨٢.

[٥] عادل بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص٥٦-٥٧.

[٦] كما حدث في معركة جرادوس عام ٤٥٥هـ/١٠٦٢م.

[٧] تقصد الباحثة أولئك النصارى من طبقات العامة أو من طبقات النبلاء الأقل درجة الذين يهتمون بزيادة ثرواتهم لتحقيق نفوذ أوسع لهم في دولهم من خلال هذه الثروات، أما الجهات الرسمية فتتمثل بملوك النصارى الذين يبرز في حالتهم الدافع السياسي الإستراتيجي إلى جانب الدافع الاقتصادي، فحينما يرسل الملك النصراني فرقة من جنوده ليقاتلوا إلى جانب حاكم مسلم فذلك لأن هذا الحاكم يدفع له إتاوة سنوية مما يعني أنه تابع له وأن مناطق حكمه وأملاكه تحت نفوذ الملك النصراني بشكل غير مباشر، وعليه فبقاء ذلك الحاكم المسلم في الحكم ما هو إلا استمرار لنفوذ وسطوة الملك النصراني.

أكثر من كونها حملات لأهداف سياسية أو توسعية[١]، بمعنى أنها كانت لصوصية بحار، ولما دخلوا النصرانية تسترت هذه الحملات بشعار الصليب مما أكسبها نوعاً من الشرعية أمام غيرهم من النصارى خاصة الإسبان الذين -بلا شك- يرون أنفسهم الأحق من غيرهم بثروات الأندلس- كما ترى الباحثة، فبالرغم من وجود دافع ديني عند بعض نبلاء النورمانديين يحفزهم للاشتراك في الحرب على مسلمي الأندلس، إلا أن بعضهم الآخر آثر الانسحاب من ميدان الحروب الصليبية على مسلمي الأندلس باحثاً عن مصادر ثراء أخرى وتوجه إلى بيزنطة ليعمل مرتزقاً تحت إمرة الإمبراطور البيزنطي الأرثوذكسي[٢].

مسير الحملة الصليبية على بربشتر عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م وأحداثها:

احتشد آلاف من النورمانديين -حديثي الدخول في النصرانية- في دوقية نورماندي ومعهم أعداد كبيرة من الفرسان الفرنسيين بقيادة جيوم دي مونري[٣] Guillaume de Montreuil أو روبرت كريسبين[٤] Robert Crespin وتوجهت إلى جنوب فرنسا ومنه انطلقت للهجوم على الأندلس في عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م[٥].

كان النورماندي جيوم دي مونري قد وفد إلى إيطاليا في أوائل القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي، وخدم الكرسي الرسولي حتى أصبح قائد الجيوش الرومانية والبابوية، وعندها أشار عليه البابا بحرب المسلمين في الأندلس[٦]، وقد ذكرت الرواية الإسلامية قائد الحملة على بربشتر بلقب "قائد خيل رومة"[٧]، مما يثبت صلته بالبابوية ومن ثَمَّ الصفة الصليبية في الحملة، كما ذكره مؤرخون مسلمون بأسماء أخرى مثل "البيطش" و"البيطين"[٨].

إنه من الصعب تحديد قائد عام مشترك للصليبيين المشتركين في هذه الحملة لتعدد جيوشهم؛ ففيهم نورمانديون وفرنسيون وكذلك إسبان من ممالك إسبانية مختلفة، ولهذا فإنه من المرجح أن لكل جيش من الصليبيين قائده، كما كانت عليه الحال في الحملة الصليبية الأولى[٩]

---

[١] خليل الكبيسي، غزوات النورمانيين، ص١٤٥-١٥٧؛

Villegas-Aristizabal, Lucas , Norman and Anglo-Norman Participation in the Iberian Reconquista. ٨٩.

[٤] Ibid,٨٨-٨٩.

[٣] جيوم دي مونري: لم تجد له الباحثة ترجمة محكمة.

[٤] روبرت كريسبن: من أسرة كريسبن النبيلة النورماندية وهو أحد ثلاثة أخوة من هذه الأسرة ويعد أصغرهم، ويعود نسل أسرة كريسبن إلى نسل أخيه الأكبرجيلبرت، غادر بعد الحملة إلى صقلية ثم دخل في خدمة إمبراطور بيزنطة وتوفي هناك.

Villegas-Aristizabal, Lucas, , Norman and Anglo-Norman Participation in the Iberian Reconquista,٨٩- ٩٠.

[٥] البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي،**المسالك والممالك**،د.ط ،(د.م:دار الغرب الإسلامي،١٩٩٢م)،ج٢،ص٩١٠؛الحميري،الروض المعطار،ص٩٠؛ عبدالرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي،ص ٣٦٠.

[٦] عبدالرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي،ص ٣٦٠.

[٧] انظر :المقري ،نفح الطيب، ج٤،ص٤٤٩.

[٨] البكري،المسالك والممالك،ج٢،ص٩١٠؛ الحميري،الروض المعطار، ص٩٠.

[٩] الحملة الصليبية الأولى: تكونت من حملتين الأولى الحملة الشعبية وتكونت من جموع غير نظامية من نساء وأطفال وفلاحين يقودهم بطرس الناسك ووليم المفلس وهلك كثير منهم في طريق عبورهم بلدان أوروبا

على المشرق في عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م[١]، وعليه يكون جيوم دي مونري قائد الجيش البابوي الروماني فقط، وفقاً للرواية الإسلامية، أما روبرت كريسبين الذي ثبت اشتراكه في الحملة[٢] فقد يكون قائد فرقة أخرى من الصليبيين -كما ترى الباحثة.

نزلت جموع الصليبيين في شواطئ مملكة قطلونية المتاخمة لدويلة الثغر الأعلى، وزحفت أولاً إلى إحدى قواعدها الحصينة القريبة من مملكة نبارة وهي مدينة وشقة Huesca[٣]، لكنهم فشلوا في اقتحامها فتركوها متوجهين إلى مدينة بربشتر[٤].

وُصفت بربشتر بأنها من "أمهات مدن الثغر الأعلى، الفائقة في الحصانة والامتناع"[٥]، وتقع على أحد فروع نهر إيبرو Ebro[٦]، كما تقع بالقرب منها عين الماء التي يخرج منها هذا المجرى، وتنقسم إلى مدينتين: المدينة الخارجية أو الحصن، والمدينة الداخلية التي يوجد فيها القصبة، وفضلاً على ذلك فهي تعد عاصمة منطقة بربطانية[٧] Boltañ في أقصى شمال الأندلس، ومنطقة بربطانية واحدة من أهم ثلاث مدن كبرى أو (مناطق) في الثغر الأعلى إلى جانب لاردة[٨] Lleida وسرقسطة، لكنها تفوق المدينتين في أهمية موقعها وخطورته؛ فهي تقع في رأس دويلة الثغر الأعلى، وتحيط بها مملكة نبارة من الشرق، ومملكة قطلونية من الغرب، إضافة إلى أن ممرات جبال البرتات الموصلة إلى البر الفرنسي تقع إلى الشمال منها مباشرة[٩]، وهذا يعني سهولة انعزال مسلمي بربطانية، وقطع خطوط الإمدادات الواصلة إليهم من بقية إخوانهم في منطقة الثغر الأعلى أو من دويلات الطوائف الأخرى.

إلى المشرق ولما وصلوا إلى بيزنطة اتجهوا منها إلى أراضي المسلمين في أسيا الصغرى فقضى عليهم السلاجقة، أما الحملة الثانية فكانت حملة نظامية تكونت من جيوش كبيرة من الصليبين يقودهم نبلاء إقطاعيون أغلبهم من فرنسا ومعهم أيضاً نورمانديين واستطاعت هذه الحملة الاستيلاء على القدس وتكوين إمارات صليبية في بلاد الشام. محمود سعيد عمران، **تاريخ الحروب الصليبية** (مصر: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م) ص٢٣-٣٥.

[٧] Villegas-Aristizabal, Lucas, Norman and Anglo-Norman Participation in the Iberian Reconquista,٨٥-٨٦.

[٨] Ibid.

[٣] وشقة: مدينة حصينة في أقصى شمال الأندلس على حدود بربطانية وتقع على فرع نهر يغذي حماماتها ويسقي مئة من بساتينها، وكان فيها أيام الحكم الإسلامي ستون مسجداً. الحميري،الروض المعطار،ص٦١٢.

[٤] محمد عنان، دولة الإسلام، ج٢،ص٢٧٥.

[٥] الحميري، الروض المعطار، ص٩٠.

[٦] نهر إيبرو: يسمى نهر طرطوشة، ويمر بمدينة طركونة القريبة من ساحل البحر المتوسط. ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٤،ص٣٢.

[٧] بربطانية: مدينة كبيرة في شرق الأندلس، وصفت أيام الحكم الإسلامي بأنها كانت سداً بين المسلمين والروم، كما كان في أهلها جلادة وممانعة للعدو. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٧١.

[٨] لاردة:مدينة منيعة وخصيبة عرفت بكثرة بساتينها وتتبعها عدة حصون وقلاع وتعتبر من أعمال مدينة طركونة في الشمال الشرقي من الأندلس إلى الشرق من ثغر وشقة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٧؛ الحميري،الروض المعطار،ص٥٠٧.

[٩] الحميري،الروض المعطار،ص٩٠؛ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج١،ص٣٧٠؛عبدالرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي،ص ٣٦١؛ محمد عنان،دولة الإسلام، ج٢،ص٢٧٥.

حاصر الصليبيون مدينة بربشتر وقدرت أعدادهم بأربعين ألفاً أو أكثر، واستمر حصار المدينة الخارجية أربعين يوماً، وخلال هذا الحصار جرت معارك عنيفة بينهم وبين المسلمين خارج المدينة، لكن المؤن بدأت تقل مع استمرار الحصار واشتد الضيق على أهل بربشتر، ووقع التنازع بينهم بسبب قلة الأقوات، مما مكّن الصليبيين في النهاية من اقتحام المدينة الخارجية[١].

وتراجع المسلمون إلى المدينة الداخلية والقصبة، وحينها اكتشف الصليبيون مجرى الماء الأرضي الذي يغذي المدينة، وقيل إنه دلّهم عليه خائن، فقُطع الماء، واشتد العطش بالمدافعين عن بربشتر، فعرضوا على الصليبيين التسليم بشرط أن يُؤمّنوا في أنفسهم وأولادهم ويخرجوا من المدينة بلا مال فرفض الصليبيون، ثم دخلوا المدينة عنوة واستباحوها بكل ما فيها، وقُدّر عدد قتلى المسلمين وأسراهم بين أربعين ألفاً إلى مئة ألف[٢].

بعد ذلك أعطى قائد الصليبيين الأمان لأهل بربشتر، فخرجوا من دورهم، وهرعوا إلى مصدر الماء ليقضوا على عطشهم الذي كادوا أن يهلكوا بسببه حينما كانوا محصورين في المدينة الداخلية، ومات عدد كبير من نساء بربشتر لانكبابهن على الماء ينهلن منه بغير تمهل، وحينما رأى قائد الصليبيين كثرة المسلمين خاف أن يرتدوا عليه ويقاوموه، فنكث بأمانه لهم، وأمر جنوده أن يقللوا من أعداد المسلمين ذبحاً بالسيف، فقتل ستة آلاف مسلم، ثم أمر الصليبيون بقية المسلمين ممن سَلِم من القتل بأن يخرجوا إلى فناء المدينة الخارجي، فتدافع المسلمون على أبوابها، وقتل خلال الزحام مئات الشيوخ والنساء والأطفال، وبعض المسلمين تدلى من الأسوار اتقاء الزحام[٣].

وامتنع من الخروج سبعمئة مقاتل مسلم اعتصموا بالقصبة وظلوا فيها حتى كاد أن يهلكهم العطش، وحينها طلبوا الأمان، فوافق الصليبيون على تأمينهم، فنزلوا من القصبة وكانت وجوههم قد تغيرت من أثر العطش، وخرجوا من بربشتر إلى مدينة منتشون[٤]Monzon - وهي أقرب بلدة مسلمة إلى الجنوب من بربشتر- وفي الطريق اعترضتهم فرقة من الصليبيين لم يشهدوا الحرب على بربشتر، فقتلوا أولئك المسلمين المكروبين جملة ولم يبق منهم إلا قليل[٥].

ووقف بقية مسلمي بربشتر في فناء المدينة مذهولين ينتظرون مصيرهم، فنادى فيهم الصليبيون بأن يرجع كل ذي دار إلى داره بأهله وولده، فحصل تدافع بين المسلمين مرة أخرى وهم يعودون إلى دورهم، وقتل منهم في الزحام خلق كثير، ثم انتهب الصليبيون المدينة وتقاسموا دورها بينهم، فكانت الدار تقع غنيمة للصليبيين بما فيها من مال وأهل وولد، وعذّبوا أهل الدار، وبعض المسلمين زهقت أرواحهم خلال التعذيب، كما قيّدوا رجال الدار واغتصبوا نساءهم بحضرتهم، فكان الواحد منهم تدمع عينيه ونفسه تُقطّع لما يرتكب أمامه من فظائع

---

(١) المقري،نفح الطيب، ج٤،ص٤٤٩؛محمد عنان،دولة الإسلام، ج٢،ص٢٧٥.

(٢) ابن بسام، ،الذخيرة ،ج٥،ص١٨٢؛المقري،المصدر السابق؛ عبدالرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي،ص٣٦١؛ محمد عنان، المرجع السابق.

(٣) ابن بسام،الذخيرة ، ج٥،ص١٨٥.

(٤) منتشون:من حصون الثغر الأعلى الأندلسي ،كانت في العصر الإسلامي مسرحاً للصراع بين أسرتين من المولدين هما بنو قسي وبنو شبريط وكان قائد بربشتر حينما غزاها النورمان من الأسرة الثانية. محمد عنان،دولة الإسلام،ج١،ص٣٤٢، ج٢،ص٢٧٦.

(٥) ابن بسام،الذخيرة، ج٥،ص١٨٥.

بحق أهله وهو مقيد عاجز في أسره[١]، لقد كانت مأساة بربشتر " أعظم من أن توصف "[٢] كما قال ابن حيان (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م) وهو من المؤرخين المعاصرين لهذه الحملة[٣].

واستولى الصليبيون على كميات ضخمة من الأموال والغنائم وأعداد كبيرة من السبي لاسيما من النساء والأطفال، وكان نصيب القائد جيوم دي مونري ألف وخمسمئة جارية مسلمة بكر، وخمسمئة حمل من الأمتعة والكسوة والحلي[٤].

وقرر جيوم دي مونري الانسحاب بمعظم جيشه من بربشتر والعودة إلى موطنه، وأخذ معه أثناء الانسحاب آلافاً من بنات المسلمين ذوات الجمال، ومن الصبيان الحسان ليهديهم إلى قادة أوروبا، ومنهم إمبراطور بيزنطة الذي أهداه قائد الصليبيين خمسة آلاف وقيل سبعة آلاف جارية بكر مسلمة[٥]؛ وترى الباحثة أنه قد يكون لهذا الهدية دلالات معينة؛ منها أنه لما كان جيوم دي مونري قائداً مكلفاً من البابوية فلابد أن هذه الهدية جاءت بتوصية من البابا نفسه أو على الأقل بعلمه، وعليه ربما أراد البابا من خلالها أن يوصل رسالة للبيزنطيين مفادها أنه رغم اختلافهم مع الغرب الأوروبي في المذهب النصراني إلا أنهم في خندق واحد ضد عدو مشترك وهو الإسلام الذي تشكل بيزنطة بموقعها الجغرافي حائط صد شرقي لأوروبا كلها أمام توسعه من حيث منبعه الأصلي وهو المشرق الإسلامي، أيضاً لا تستبعد الباحثة أن هذا الإهداء قد يكون ضمن إجراءات حثت عليها البابوية لكسب ود بيزنطة من أجل تحضيرها للعب دور مهم ومساعد في أمر جلل تخطط له البابوية، وحدث بعد مأساة بربشتر بزمن ليس ببعيد، وهو الحملات الصليبية المشرقية، وأن ما أعلن من أسباب لحدوث هذه الحملات قد لا يتعدى كونها مجرد ذرائع لأمر مبيّت مسبقاً.

وعندما انسحب جيوم دي مونري بأغلب جيشه من مدينة بربشتر ترك حامية صليبية من أقوى جنوده وأشدهم ضبطاً في المدينة، قُدّر عددهم بألف وخمسمئة فارس وما بين ألف إلى أربعة آلاف من الجنود الرجالة، وأسكنوا أهلهم وأقرباءهم ومواطنيهم في دور المسلمين[٦]، وأوكلوا رئاسة المدينة إلى ملك أرغون سانشو ابن راميرو الأول قتيل معركة جرادوس[٧]، وبعض الدراسات الأوروبية تذكر أن من تولى رئاستها هو أحد النبلاء من قطلونية، بل إن هذه الدراسات لاترجح مشاركة ملك أرغون في هذه الحملة من الأساس[٨]، وهذا مستبعد من وجهة نظر الباحثة ، لحاجة الصليبيين عبور أراضي مملكة أرغون للوصول إلى وشقة وبربشتر وخاصة الفرنسيين القادمين من ممرات جبال البرتات، بالإضافة إلى أن بربشتر تقع على حدود مملكة أراغون، ومن مصلحة الأمن القومي للمملكة وقوع هذه المدينة تحت سيطرتها بدل أن تكون تحت سيطرة غيرها من ممالك إسبانيا الأخرى.

---

(١) ابن بسام،الذخيرة ،ج٥،ص١٨٣-١٨٤.

(٢) المصدر السابق،ج٥،ص١٨٣.

(٣) محمد عنان،دولة الإسلام،ج٢،ص٢٧٧.

(٤) ابن بسام،الذخيرة،ج٥،ص١٨٢.

(٥) البكري، المسالك والممالك،ج٢،ص٩١٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج١،ص٣٧٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص٩٠.

(٦) ابن بسام، الذخيرة،ج٥،ص١٨٥-١٨٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٩٠؛ محمد عنان، دولة الإسلام،ج٢،ص٢٧٨.

٢ Charles Julian Bishko, Fernando I and the Origins of the Leonese-Castilian Alliance With Cluny,٣١-١٣٥.

٣ Villegas-Aristizabal, Lucas ,Norman and Anglo-Norman Participation in the Iberian Reconquista, ٩٢-٩٣.

كانت بربشتر تحت حكم يوسف المظفر بن المستعين بالله الذي وقف عاجزاً أمام مأساتها فلم يستطع إنجادها وتركها لمصيرها، كما أن أخاه أحمد المقتدر بالله الذي كان من أقوى حكام عهد دويلات الطوائف، بل كان عميد بني هود وعظيمهم ورئيسهم، لم يبادر لإنقاذ المدينة لوقوعها تحت حكم أخيه لنزاعات وخلافات بينهما فكان هذا جبناً ونذالةً منه[١].

وهنا يبرز التساؤل التالي: لماذا لم يخرج من بين أهل الثغر الأعلى من يقود مقاومة شعبية ضد الصليبيين لمّا تقاعس حكامهم عن نجدة المدينة المنكوبة - خاصة من المدن القريبة من مدينة بربشتر؟

ترى الباحثة أن من أسباب هذا ما يلي:

-أن هجوم الصليبيين كان مباغتاً [٢]فسرعان ما أحاطوا بالمدينة من جميع الجهات.

-الخلافات والحروب الداخلية بين حكام الثغر الأعلى من أبناء المستعين بالله بن هود شغلت الناس بأنفسهم، وأهدرت موارد بشرية ومادية كان الأجدر أن تذهب في تحصين الثغور ومراقبة حدودها، وقد مرت على الأندلس حال مشابهة عندما دخل عبدالرحمن بن معاوية إلى الأندلس وحدثت حروب وفتن داخلية بين الأندلسيين ما بين مؤيد ومعارض الأمر الذي أدى بهم إلى إهمال تحصين الثغور الشمالية مما أتاح لممالك نصارى الشمال الإسباني التوسع على حساب أراضي شمال الأندلس[٣].

لقد ذاق سكان الثغر الأعلى مرارة تبعات الحروب بين الأخوة من بني هود، ومثال ذلك ما حدث لمدينة تطيلة[٤]؛ فقد وقعت فيها مجاعة وأصاب الناس فيها الغلاء فأرسلوا يستغيثون بحاكمهم يوسف المظفر الذي بدوره أرسل استغاثة إلى أهل الثغر الأعلى لجمع المؤن والأطعمة، فاجتمعت قافلة ضخمة فيها مئات الدواب المحملة بالأقوات ومعها آلاف من الجنود لحمايتها، وقرر يوسف المظفر ألّا يرسلها عبر سرقسطة الواقعة تحت حكم أخيه أحمد المقتدر بالله خوفاً من استيلائه عليها، فأرسل إلى ملك نبارة (وقيل أرغون) يطلب منه السماح للقافلة بعبور أراضيه إلى تطيلة، ودفع له مبلغاً من المال، فوافق ملك نبارة على ذلك، ولما علم بالخبر أحمد المقتدر بالله أرسل يطلب من ملك نبارة أن يمكنه من الإغارة على القافلة إذا دخلت أراضيه وعَرَض عليه أن يدفع له ضعف ما دفع أخوه يوسف المظفر فاستجاب الملك النصراني لهذا الطلب اللاإنساني ووافق عليه، وما إن دخلت القافلة أراضي مملكة نبارة حتى هاجمها جيش أحمد المقتدر بالله وأبادوا معظم رجالها واستولى النصارى على المؤن والأسلاب، وفتكت المجاعة بتطيلة، وضعف أمر يوسف المظفر بين أهل الثغر الأعلى، وتوطد حكم أحمد المقتدر بالله، واشتد بأسه، وهابه الناس[٥].

إن وجود عنصر المفاجأة في هجوم الصليبيين على مدينتي وشقة وبربشتر يتطلب سرعة وصول هؤلاء الجنود إلى تلك المدينتين، وذلك قبل انطلاق نداءات استغاثة من المسلمين، أو التمكن من حشد جيوش مقاومة إسلامية إن وجدت، أو حتى وجود أيه فرص أمام سكان المدينتين للهروب أو الإخلاء واللجوء للملاجئ، فأي الطرق سلكها الصليبيون للوصول إلى هاتين المدينتين؟.

ترى الباحثة أن هناك طريقين يتحقق من خلالهما عنصر المفاجأة في الهجوم؛ الطريق الأول: هو الطريق الذي يمر بأراضي الجنوب الفرنسي، ومنه يتجه الصليبيون جنوباً إلى

---

[١]محمد عنان،دولة الإسلام،ج٢،ص٢٧٥.

[٢] الحميري،الروض المعطار، ص٩٠.

[٣] ابن خلدون،ديوان المبتدأ، ج٤، ص١٥٦.

[٤] تطيلة: بناها الأمير الأموي الحكم الربضي، وتقع في شمال شرق الأندلس بالقرب من سرقسطة ومن أعمالها مدينة طرسونة. ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٢،ص٣٣؛ الحميري،الروض المعطار، ص١٣٣.

[٥] ابن عذاري، البيان،ج٣،ص٢٢٣؛ محمد عنان،دولة الإسلام،ج٢،ص٢٧٢.

شمال إسبانيا عبر ممرات جبال البرتات، فإذا ما سلك الصليبيون ممرات جبال البرتات المتصلة بمملكة نبارة النصرانية على وجه الخصوص فإن من أوائل القواعد الإسلامية التي سيواجهها الصليبيون في طريقهم هذا مدينتا وشقة وبربشتر لوقوعهما في أقصى شمال الثغر الأعلى على حدود نبارة وأرغون، أما ممرات جبال البرتات الأخرى فإنها تؤدي إلى أراضي مملكة قطلونية مباشرة، وقد اعتاد الفرنسيون عبور تلك الممرات نازحين من مدينة تولوز في الجنوب الفرنسي لمهاجمة مدن الشمال الأندلسي(١)، أما الطريق الثاني: فهو الطريق الذي يبدأ من شواطئ قطلونية – التي قيل إن الصليبيين المشاركين في الحملة على بربشتر قد نزلوا فيها(٢)- وهذا يقود إلى افتراض أن هؤلاء الصليبيين ربما سلكوا المسالك المائية من أجل تحقيق التوغل السريع في أراضي الثغر الأعلى أكثر من المسالك البرية ومن ثَمَّ المباغتة في الهجوم على مدينتي وشقة وبربشتر، ويرجح هذا الافتراض -من وجهة نظر الباحثة ما يلي:

١-وجود مصب نهر إيبرو في جنوب شواطئ مملكة قطلونية (٣)، وهذا النهر يمتد عبر الثغر الأعلى حتى مدينة قلهرة(٤) في مملكة نبارة وتتفرع منه فروع صغيرة تصل إلى مدينتي وشقة وبربشتر(٥).

٢-أن النورمانديين رجال بحر مهرة ومتمرسون في ركوب المياه(٦) وليس بمستغرب أن يستخدموا مهارتهم هذه في السطو والهجوم، فهي نقطة القوة في قواتهم، وقد سبق لهم أن هاجموا الأندلس في عام ٢٢٩هـ/٨٥٣م من خلال مصب نهر الوادي الكبير(٧) في المحيط الأطلسي وتوغلوا عبره حتى وصلوا إلى إشبيلية(٨) ونزلوا في البر الأندلسي وهاجموا المدينة والقرى المجاورة لها، وكان هجومهم على غرة من أهل المدينة -أيضاً- إذ ذعروا لرؤية النورمانديين ففروا منهم ولم يقاوموهم(٩).

٣-كذلك حينما توجه مسلمو قصبة بربشتر- بعد أن أمّنهم الصليبيون- إلى مدينة منتشون الواقعة إلى الجنوب من المدينة المنكوبة، واجهوا في طريقهم فرقة من الصليبيين لم تشهد الحملة الصليبية على المدينة، فإذا كانت مدينة منتشون تقع على ضفاف فرع نهر إيبرو الذي تقع بالقرب منه مدينة بربشتر، وأن جميع الأراضي البرية جنوب بربشتر أراض إسلامية، فإنه مما يفسر وجود الفرقة الصليبية في تلك الأنحاء هو افتراض تسللها عبر مياه النهر الفاصلة بين أراضي الثغر الأعلى ومملكة قطلونية؛ وعلى أية حال إن لم يسلك الصليبيون الطريق الثاني، فلا بد أنهم استغلوا المسالك المائية الموصلة إلى بربشتر خلال التوجه إليها، أو الانسحاب منها سريعاً، لاسيما بعد ما حازوا عليه من غنائم هائلة.

---

(١) محمد عنان، دولة الإسلام،ج١،ص٢٣٥.

(٢) محمد عنان، دولة الإسلام ،ج٢،ص٢٧٥.

(٣) يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١،ص١٢.

(٤) قلهرة:مدينة تقع إلى الشرق من تطيلة في شمال إسبانيا.ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٤، ص٣٩٣.

(٥) محمد عنان،دولة الإسلام،ج٢،ص٢٦٥.

(٦) الزهري،أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ،**كتاب الجغرافية**،تحقيق:محمد حاج صادق،د.ط،(بورسعيد:مكتبة الثقافة الدينية،د.ت)،ص٩٢.

(٧) الوادي الكبير: يمر في منتصف إشبيلية ويصلها بمياه البحر المتوسط ،وهو غني بالثروات الطبيعية واعتاد الناس التجول فيه بقواربهم.ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس،ص٨٣؛الزهري،كتاب الجغرافية، ص ٨٨.

(٨) إشبيلية: مدينة في الأندلس تبعد عن قرطبة ١٢٨,٧٤٤ كم جنوباً، ومعنى اسمها المدينة المنبسطة.الحميري،الروض المعطار،ص٥٨.

(٩) ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس،ص٧٨.

وخلاصة ما سبق: أنه من الوارد أن يكون الصليبيون قد سلكوا كلا الطريقين؛ لتعدد جيوش الصليبيين، فالأقرب للنورمانديين القادمين من روما شواطئ قطلونية، أما جيوش الفرنسيين، وكذلك النورمانديون القادمون مباشرة من نورماندي، فالأقرب لها عبور أراضي الجنوب الفرنسي ودخول شمال إسبانيا من ممرات جبال البرتات الموصلة لمملكتي أرغون ونبارة القريبتين من مدينتي بربشتر ووشقة.

ويبقى التساؤل: لماذا هجم الصليبيون على مدينتي وشقة وبربشتر من بين مدن الثغر الأعلى قاطبة لاسيما أن هاتين المدينتين تعدّان من المدن الداخلية وتقعان في قاصية الثغر الأعلى، وأن الطريق من شواطئ قطلونية -إحدى محطات وصول جيوش الصليبيين- إلى حيث مدينتي وشقة وبربشتر يقع على امتداده العديد من الحصون والمدن الأندلسية الأخرى؟

ترجح الباحثة أن سبب هذا يعود إلى أن القوات الإسلامية في الثغر الأعلى الأندلسي اعتادت أن تتخذ من هاتين المدينتين منصات لانطلاق غاراتها ضد أراضي الممالك الإسبانية والمدن الفرنسية التابعة لولايات جبال البرتات[١]، كذلك وقوع بربشتر ووشقة في منطقة الحدود مع مملكة أرغون الأمر الذي يجعلها ميدان صراع دائم بين نصارى أرغون ومسلمي الأندلس، فقد كان راميرو الأول ملك أرغون (قتيل معركة جرادوس) كثيراً ما يهاجم ويحاصر بربشتر ووشقة وجرادوس وغيرها من المدن الحدودية، ولهذا فاقت هذه المدن في حصانتها بقية القواعد الشمالية في فترات قوة السلطة الإسلامية في الثغر الأعلى الأندلسي[٢].

استرداد مسلمي الأندلس لمدينة بربشتر من الصليبيين في عام ٤٥٧هـ/١٠٦٤م:

حينما وصل خبر سقوط بربشتر إلى أهل قرطبة "صك الأسماع وأطار الأفئدة وزلزل الأرض الأندلسية قاطبة"[٣]، لكن حظ المدينة المنكوبة من القرطبيين لم يتعد أحاديث مجالسهم يتناقلون بينهم أخبار ما جرى فيها من أحداث، وظنوا أنهم أبعد من أن ينالهم مصير مشابه فغرهم الأمل، وتمكّن منهم الهوان[٤].

إن موقف أهل قرطبة من مأساة بربشتر ما هو إلا غيض من فيض، فقد شابه مواقف كثير من الأندلسيين في دويلات الطوائف الأخرى الذين -في أحسن أحوالهم-أوكلوا أسباب ما جرى إلى حكام دويلات الطوائف، وحصروها بهم، لِما كان بينهم من فرقة وتنازع، لكنهم نسوا أن أولئك الحكام جزء من مجتمعهم، وأنهم لم يكونوا ليأتمروا عليهم لولا أن أحوالهم قد تطابقت[٥]، وشتان بين حال أهل قرطبة في هذا العهد وحالهم في العهد السابق الذي ثاروا فيه على أحد حكامهم من بني أمية[٦]، حينما أحسوا منه تساهلًا في تطبيق تعاليم الدين الحنيف، فاتهموه بالفسق وقرروا خلعه في ثورتهم عليه[٧] التي اشتهرت في التاريخ الأندلسي باسم ثورة الربض[٨].

---

[١] ابن عذاري،البيان،ج٣،ص١٢-١٣؛ محمد عنان،دولة الإسلام،ج١،ص٦١٢.

[٢] يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١،ص١٩.

[٣] ابن بسام،الذخيرة ،ج٥،ص١٨٠.

[٤] المصدر السابق.

[٥] المصدر السابق.

[٦] هو الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل، عرف باسم الحكم الربضي،تولى الحكم وعمره اثنتان وعشرون عاماً بعد وفاة أبيه عام ١٨٠هـ/٧٩٦م ،كان طاغياً مسرفاً،واستمر يحكم البلاد حتى وفاته عام ٢٠٦هـ/٨٢٢م . الحميدي،جذوة المقتبس،ص١٠ .

[٧] ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس،ص ٦٨-٦٩؛ ابن الأثير،الكامل في التاريخ،مج٥، ص٤١٣-٤١٤.

[٨] ثورة قام بها أهل ربض قرطبة على الحكم بن هشام يقودهم الفقهاء، وأرادوا فيها خلعه بسبب أمور أنكروها على الحكم ومنها فسقه وظلمه. وقد قتل الحكم زعماء الثوار وتطورت الثورة إلى مواجهة مسلحة مع جند

لقد ذكر أحد المؤرخين أن أهل الأندلس قد بخلوا بالدعاء لأهل بربشتر فلا تكاد تسمعهم يدعون لهم في المساجد، وإذا ما تم ذكرهم أو استنفر لهم أحد لإنجادهم، قابله العامة من الناس بالتجاهل، وكأن أهل بربشتر ليسوا من أهل الأندلس، أو أن مصيرهم بعيد عنهم [١]، فظلت هذه المدينة أسيرة بقبضة الصليبيين مدة أشهر طويلة قبل أن تتحرك لاستردادها فئة قلّ مثيلها في ذلك العهد[٢].

كان من أهم ركائز المجتمع الأندلسي فئتان : الحكام ومن بعدهم الفقهاء، لكن هاتين الفئتين لم تكونا في أفضل حالاتهما في عهد دويلات الطوائف؛ فقد بليت بلاد الأندلس بحكام اتصف عدد كبير منهم بالغدر والأنانية، وضعوا مصلحة الأمة دون مصالحهم الذاتية التي من أجل الحفاظ عليها ارتموا عند أقدام ملوك النصارى، يطلبون عونهم، ويدفعون لهم الإتاوات صاغرين، مما يجعلهم تحت سلطتهم، يعملون لصالحهم أتباعًا في أحيان كثيرة، ولو أراد أفضل أولئك الحكام النفير من أجل إغاثة أهل بربشتر، لم يكن باستطاعته فعل ذلك خوفًا من جيوش الملك النصراني المتربصة بهم جميعاً وتتمنى زوالهم، فلا يملك إلا أن يحفر الخنادق ويعلي الأسوار حول دويلته، وفضلاً على هذا جاهر كثير منهم بالانحراف عن المنهج القويم منشغلين بنزواتهم وملذاتهم[٣] لا هم لهم سوى بناء القصور[٤] والتلقب بالألقاب الملكية[٥]، حتى قال فيهم أحد الشعراء[٦]:

مما يزهدني في أرض أندلس أسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صوْلة الأسد[٧]

أما فئة الفقهاء فحال كثير منهم ليس ببعيد عن سوء حال أولئك الحكام، فبعض الفقهاء فضّلوا ترك النصيحة للحاكم وقابلوا أفعاله تارةً بالصمت عنها وتارةً أخرى بالتأييد والتبرير والمجاهرة في ذلك[٨]، كما شاركوا الحكام في ملذاتهم يخوضون معهم في أهوائهم، وقد قال ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ/١٠٦٣م) في هذه الفئة من الفقهاء:"... ولا يغرنك الفساق المنتسبون إلى الفقه اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، الناصرون لهم

الدولة انتهت بتدمير ربض قرطبة وقتل آلاف من الثوار وهجرة آلاف آخرين إلى داخل الأندلس وخارجها . ابن الأبار،الحلة السيراء،ج١،ص٤٤-٤٥؛ ابن الأثير،المصدر السابق ؛ ابن عذاري،البيان،ج٢،ص ٦٨-٧٧.

[١] ابن بسام، الذخيرة ،ج٥،ص١٨٩.

[٢] محمد عنان، دولة الإسلام ،ج٢،ص٢٧٩.

[٣] ابن بسام، الذخيرة ،ج٥،ص١٨٠-١٨١؛ ابن عذاري،البيان،ج٣،ص٢١٢.

[٤] محمد عنان، دولة الإسلام ،ج٢،ص٥٥، ٢٨٣.

[٥] ابن الخطيب ، أعمال الأعلام، ص١٤٤.

[٦] هو أبو العباس أحمد بن رشيق الكاتب، نشأ بمرسية وانتقل إلى قرطبة ثم عمل في بلاط حاكم دانية أبو مجاهد العامري، اشتغل في الفقه والحديث وكان حليماً متواضعاً،توفي بعد عام ٤٤٠هـ/١٠٤٨م.الحميدي ، جذوة المقتبس، ص١٢٣.

[٧] شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ،**معجم الأدباء** ،المحقق: إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي،١٤١٤ هـ) ج٦،ص٢٦٣٧.

[٨] فدوى عبدالرحيم قاسم،**الرثاء في الأندلس عصر ملوك الطوائف**،(الأردن:جامعة النجاح،١٤٢٣هـ)،ص١٨٤-١٨٥.

علـى فسـقهم..."[١]، أمـا بعضـهم الآخـر فكـانوا متوجسـين مـن الحـاكم خيفـة علـى أنفسـهم مـن أن تنـالهم سـيوف الغـدر منـه، فيقـابلوا أفعالـه بالتقيـة وأضـعف الإيمـان، وهـؤلاء الفقهـاء كـانوا الأقـل عـدداً، وقـد تنبـأ المـؤرخ ابـن حيـان أنـه إن لـم ينتـه فسـاد الحكـام والفقهـاء وتنصـلح أحـوالهم فإنـه لا محيد سيفضي إلى بوار الأندلس واستئصال شأفة الإسلام منها[٢].

وبـالرغم مـن هـذا ظهـر عـدد مـن علمـاء الأنـدلس -هـم بقيـة مـن خيـر فـي هـذا العهـد- أخـذوا علـى عـاتقهم إصـلاح أحـوال المجتمـع الأندلسـي، وتبنـوا أدواراً سياسـية دعـوا فيهـا حكـام دويـلات الطوائـف إلـى نبـذ الخـلاف، ومـوالاة بعضـهم بعضـاً بـدل مـوالاة النصـارى، وتوحيـد الصـفوف واسـتنفار النـاس للجهـاد لرفـع الـبلاء عـن مسـلمي بربشـتر، فكـان بعضـهم يعتمـد التطـواف علـى دويـلات الطوائـف، ومقابلـة الحـاكم والنصـح لـه، بـل كـانوا يكلمـون عامـة الأنـدلس، وينبهـونهم للأخطـار المحدقـة بهـم، والمصـير الـذي ينتظـرهم إن هـم لـم يبـادروا إلـى دفـع العـدو فـي الثغـور قبـل أن يفـاجئهم فـي دورهـم، ومـن هـؤلاء العلمـاء سـليمان بـن خلـف البـاجي[٣]، فـي حـين أن بعضـهم الآخـر أرسـل الرسـائل المكتوبـة إلـى حكـام تلـك الـدويلات تحمـل معـاني الـدعوة إلـى الوحـدة والنفيـر العـام لإنقـاذ مـا يمكـن إنقـاذه مـن هـذه الثغـور، واعتمـدوا فـي كتابتهـا أسـلوباً بلاغيـاً قويـاً، ذا معـاني رصـينة، وعميقـة العاطفـة، أغنـت المـادة العلميـة فـي مـا يعـرف فـي الأدب الأندلسـي برثـاء المـدن أو الرثـاء السياسـي، ومـن العلمـاء الـذين أخـذوا هـذا المنحـى عمـر بـن حسـن الهـوزني[٤]، وتـرى الباحثـة أن الإنتـاج الأدبـي الرفيـع الـذي تمثلـه هـذه الرسـائل بتصـويراتها المشـرقة المبشـرة أو الحزينـة الباكيـة، وبمـا احتوتـه مـن نثـر وشـعر بـديعيْن، فيـه دلالـة واضـحة علـى رقـي المسـتوى الأدبـي لأهـل الأنـدلس، كمـا أن فيـه إشـارة إلـى أن هـؤلاء العلمـاء لـم يـدخروا جهـداً فـي توصـيف المأسـاة بـأبلغ العبـارات لعلهـا تحـرّك الهمـم الخاملـة، أو تثيـر بقيـة مـن غيـرة علـى الإسـلام فـي نفوس هؤلاء الحكام -إن وجدت -لاسيما أنهم كانوا أنفسهم أدباء وشعراء[٥].

لكـن هـل أثمـرت جهـود أولئـك العلمـاء مـع حكـام دويـلات الطوائـف ونجحـوا فـي حـثهم علـى توحيـد الصـفوف ومجاهـدة العـدو؟ يـذكر المـؤرخ ابـن بسـام (ت٥٤٠هـ/١١٤٧م) أن حكـام دويـلات الطوائـف كـانوا يجلّـون العـالم البـاجي ويبرّونـه ويجزلـون لـه العطـاء فـي الظـاهر، لكـنهم فـي البـاطن يسـتثقلون طلعتـه ويسـفّهون دعوتـه [٦]، أمـا العـالم الهـوزني فكـان مصـيره أشـد فظاعـة؛ فحينمـا

---

[١] ابـن حـزم، أبـو محمـد علـي بـن أحمـد، **رسـائل ابـن حـزم**، تحقيـق: إحسـان عباس،(بيروت:المؤسسـة العربية،١٩٨١م)،ج٣، ص١٧٣.

[٢] ابن بسام، الذخيرة، ج٥،ص١٨٠-١٨١.

[٣] سـليمان بـن خلـف البـاجي: كنيتـه أبـو الوليـد،من أهـل بطليـوس ثـم انتقـل إلـى باجـة ومنهـا إلـى قرطبـة وبعـدها سـتقر فـي شـرق الأنـدلس، رحـل إلـى المشـرق الإسـلامي لطلـب العلـم فـي الفقـه والحـديث عـام ٤٢٦هـ/١٠٣٤م وقضـى فيـه ١٣ عامـاً، وعنـدما عـاد إلـى الأنـدلس تـولى منصـب القضـاء فـي أكثـر مـن مدينـة، كـان فقيهـاً شـاعراً محققـاً وراويـة حـديث، تـوفي فـي المريـة عـام ٤٧٤هـ/١٠٨١م. أبـو الفضـل القاضـي عيـاض بـن موسـى اليحصـبي ،**ترتيـب المـدارك وتقريـب المسـالك**،المحقـق: سـعيد أحمـد أعـراب (المغرب:مطبعـة فضـالة ،١٩٨١-١٩٨٣م)،ج٨،ص١١٧.

[٤] عمـر بـن حسـين الهـوزني: كنيتـه أبـو حفـص ،مـن أهـل إشـبيلية وكبيـر فقهائهـا ،رحـل إلـى مصـر وصـقلية لطلـب العلـم وسـمع مـن شـيوخها، وسـكن شـرق الأنـدلس ثـم انتقـل إلـى إشـبيلية، قتلـه حاكمهـا المعتضـد بـالله عبـاد عـام ٤٦٠هـ/١٠٦٧م . المصدر السابق ، ج٨، ص١٥٦.

[٥] المقري،نفح الطيب، ج٣،ص١٩٠-١٩١؛عبدالرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي، ص٣٣٩-٣٤٨.

[٦] الذخيرة، ج٣، ص٩٦.

استقر في إشبيلية، عمل مع حاكمها المعتضد بالله عباد [١](٤٠٧-٤٦٤هـ/١٠١٦-١٠٧٢م) الذي أخذ يستشيره في أمور الحل والعقد، فقد كانت بينهما صداقة وائتلاف قبل أن يتولى المعتضد بالله حكم المدينة، ثم لم يمض على إقامة العالم الهوزني في إشبيلية سوى عامين حتى بدأ المعتضد بالله يشعر بالذعر من علو مكانة العالم بين أهلها وخاف على نفوذه في المدينة لاسيما حينما أثقل العالم عليه بعظاته ونصيحته[٢]، فاستدرج المعتضد العالم إلى قصره، وقتله بيده، ثم حثَّ التراب على جسد القتيل في فناء قصره، ودفنه بثيابه وقلنسوته دون أن يغسله أو يصلي عليه[٣].

لقد كان الشرخ عميقاً في المجتمع الأندلسي، فلم يكن داء التفرق متفشياً بين الحكام فقط، بل تعدى إلى أوساط محكوميهم الأمر الذي جعل أهل كل دويلة لا شأن لهم بمن يجاورهم من دويلات الطوائف الأخرى[٤]، ولما وجد أهل الثغر الأعلى أنفسهم مخذولين من قبل حكامهم وإخوتهم في دويلات الطوائف الأخرى قتلوا أعدادًا كبيرة من النصارى المعاهدين في مدينة سرقسطة وغيرها من مدن الثغر الأعلى انتقاماً لمذبحة بربشتر، مما أغضب الملك النصراني فرناندو الأول فزحف بجيشه وهاجم سرقسطة وخرب مزارعها والقرى المحيطة بها واجتاح الحصون والقلاع خارج المدينة ثم اتجه إلى مدينة بلنسية[٥]Valencia وهاجمها وروّع أهلها وفرض عليهم الحصار ولكنه أحس بدنو أجله ففك الحصار، وترك المدينة، وانسحب إلى مملكته قشتالة وتوفي في عام ٤٥٨هـ/١٠٦٥م[٦].

وكان أهل الثغر الأعلى ناقمين على أحمد المقتدر بالله حاكم سرقسطة لقعوده عن إغاثة بربشتر مع استطاعة جيشه الذي كان من أقوى جيوش مدن الثغر الأعلى، ويرون أنه قد فرّط بالمدينة وأسلمها لمصيرها البائس ويحمّلونه وزر ما حدث لأهلها، فَكَرِه أحمد المقتدر بالله سوء كلام الناس عنه، وأراد إسكاتهم، فأظهر الندم على ما بدر منه من تقاعس في دفع عدوان الصليبيين على بربشتر، وأعلن النفير للجهاد وحشد الجيش، فتوافد عليه المتطوعة من المجاهدين من مناطق مختلفة، واجتمع له قرابة ستة آلاف من الرماة، ومن المفارقات العجيبة أن حاكم إشبيلية المعتضد بالله - قاتل العالم الهوزني الذي حضه على الجهاد في سبيل الله - قد قدم مدداً لجيش أحمد المقتدر بالله قوامه خمسمئة فارس[٧].

وتوجه الجيش الإسلامي إلى بربشتر، وحاصر الصليبيين فيها، وحدثت مواجهات عنيفة بين الطرفين انتهت بانتصار المسلمين الذين نجحوا في دخول بربشتر، وقتلوا أعدادًا كبيرة من الصليبيين وفر بعضهم الآخر، في حين كان عدد القتلى من المسلمين يسيراً، وأسر

---

[١] المعتضد بالله عباد: هو أبو عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي، حاكم إشبيلية بعد وفاته والده،كان شهماً شجاعاً صارماً فيه جبروت، وكان شاعراً اهتم بالعلم والعلماء والأدباء، توفي عام٤٦٤هـ/١٠٧٢م.الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨،ص٢٥٦.

[٢] عمر إبراهيم توفيق،**صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة(سياسياً واجتماعياً وثقافياً)**،(عمان:دارغيداء،٢٠٠٩م)،ص٩٩.

[٣] ابن بسام،الذخيرة ،ج٣،ص٨٢؛ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك،**الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**،عني بنشره وصححه وراجع أصله:السيد عزت العطار الحسيني،ط٢،(د.م:مكتبة الخانجي،١٣٧٤هـ/١٩٥٥م)،ص٣٨١.

[٤] ابن بسام،الذخيرة ،ج٥،ص١٨٠؛ عبدالرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي،ص٣٣٢.

[٥] بلنسية:مدينة برية وبحرية تقع شرقي تدمير وقرطبة، ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج١،ص ٤٩٠ .

[٦] محمد عنان، دولة الإسلام ،ج٢،ص٢٢٤.

[٧] ابن بسام،الذخيرة، ج٥،ص١٨٩-١٩٠.

المسلمون من بقي من أبناء الصليبيين وأهلهم في المدينة، وقيل إنهم سبوا من النصارى قرابة خمسة آلاف، ونُقلوا إلى سرقسطة مع كميات كبيرة من الغنائم والأسلاب، وبذلك عادت بربشتر إلى حياض الإسلام في عام ٤٥٧هـ/١٠٦٤م، بعد أن استمر احتلال الصليبيين لها مدة تسعة أشهر، وقيل أن أحمد المقتدر بالله تلقب بهذا اللقب بعد هذا الانتصار(١).

وترى الباحثة أنه مع انتشار خبر مأساة بربشتر بين الأندلسيين وبلوغ أخبار ما حدث لهم من فظاعات على أيدي الصليبيين إلى أرجاء الأندلس كافة فقد وصل عدد المتطوعين إلى قرابة ستة آلاف، وهو عدد قليل بالمقارنة مع عدد الصليبيين في الحملة على المدينة الذي بلغ أكثر من أربعين ألفًا كما سبق ذكره، مما يدل على أن الإسلام في الأندلس يعيش فترة أفول وانقلاب في ميزان القوى لصالح الصليبيين الذين يزدادون مع الوقت عددًا وعدةً وتلاحمًا في إسبانيا مقابل التنازع والفرقة بين مسلمي الأندلس الذي استمر فيهم حتى سقطت آخر قلاعهم على الأرض الأندلسية.

أثر ما حل بمدينة بربشتر على الوضع السياسي العام في الأندلس في فترات لاحقة من التاريخ الأندلسي:

لم تستطع الحملة الصليبية على بربشتر انتزاع المدينة نهائياً من سيطرة المسلمين إثر تمكنهم من استردادها بعد أقل من عام على احتلال الصليبيين لها، ولهذا يمكن القول أن نجاح هذه الحملة الصليبية كان نسبياً وتمثل في اقتحام المدينة وتحقيق مكاسب مادية فقط(٢)، وذلك بالمقارنة مع الحملة الصليبية الأولى على المشرق(٤٩٠-٤٩٣هـ/١٠٩٦-١٠٩٩م) التي تمكن فيها الصليبيون من احتلال أراض إسلامية وتكوين ممالك صليبية استمرت عقودًا من الزمن(٣).

وبالرغم من هذا يمكن القول أن إسبانيا بعد الحملة الصليبية على بربشتر ليست هي نفسها قبل هذه الحملة، فمملكة أرغون أصبحت تحت السيادة البابوية بشكل كامل بموافقة ملكها الذي سمح له البابا إسكندر الثاني استخدام ريع كنائس مملكته في حروبه ضد المسلمين، ولم تمض سوى سنوات قليلة حتى اعترف جميع ملوك نصارى الشمال الإسباني بسيادة البابوية عليهم في عهد البابا جريجوري السابع(٤) Gregory VII (٤٦٦-٤٧٨هـ/١٠٧٣-١٠٨٥م)، وتقرر إنشاء هيئة لرجال الدين النصراني في إسبانيا في عام ٤٦٨هـ/١٠٧٥م، وعُدّت بعد ذلك جميع حروب نصارى الإسبان ومن يعاونهم من نصارى أوروبا ضد مسلمي الأندلس حروبًا مقدسة أو بمعنى آخر حملات صليبية، وأصبح للبابوية الكلمة الأولى في تعيين وعزل أساقفة إسبانيا، ولما أراد بعض رجال الدين الإسبان المشاركة في الحروب الصليبية في المشرق أصدرت البابوية مرسوماً حرمت فيه على رجال الدين والفرسان الإسبان المشاركة في هذه

---

(١) البكري،المسالك والممالك،ج٢،ص٩١٠؛ابن بسام،المصدر السابق؛ ابن عذاري،البيان،ج٣،ص٢٢٧.

٢ Villegas-Aristizabal, Lucas ,Norman and Anglo-Norman Participation in the Iberian Reconquista, ١٠١.

(٣) للمزيد حول الحروب الصليبية المشرقية،انظر: **الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية** ،تأليف وتحقيق وترجمة:سهيل زكار(دمشق:دار الفكر،١٩٩٥م)؛ و محمد العروسي المطوي،الحروب الصليبية في المشرق والمغرب،ط٢،(د.م:دار الغرب الإسلامي،١٩٨٠م).

(٤)جريجوري السابع: اسمه هيلدبراند ، ولد في مقاطعة توسكانا الإيطالية،وانتقل في شبابه إلى روما وتعلم في دير سانتا ماريا الذي تأثر بحركة الإصلاح الكلوني، يعد جريجوري السابع من أعظم بابوات روما وهو أول بابا يخلع حاكماً متوجاً هو الإمبراطور هنري الرابع(٤٤٨-٤٩٩هـ/١٠٥٦-١١٠٥م).

"Gregory VII",Encyclopaedia,Britannica,Online From:http://global.britannica.com,access date November ,١٦ ٢٠٢٠.

الحروب، وحثتهم على تركيز جهودهم في حروبهم ضد مسلمي الأندلس التي لا تقل أهمية عن الحروب الصليبية الشرقية[١].

واستمر الفرنسيون سواء أكانوا رجال دين أو من طبقة النبلاء والفرسان يقدمون الدعم لنصارى الإسبان في حروبهم ضد مسلمي الأندلس، فالبابا الفرنسي أوربان الثاني الذي اشتهر عنه الدعوة إلى قيام الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي في عام ٤٨٩هـ/١٠٩٥م، كان قد دعا إلى مساعدة الإسبان في حروبهم ضد مسلمي الأندلس قبل ذلك التاريخ بسنوات وبالتحديد في عام ٤٨٢هـ/١٠٨٩م، فاستجاب له العديد من نبلاء فرنسا، وأصبح من المعتاد للبعثات الصليبية المنطلقة من شمال أوروبا نزولها في شواطئ إسبانيا، ومساعدة ملوك نصارى إسبانيا في حروبهم ضد مسلمي الأندلس[٢]، كما كان بعض الفرسان الفرنسيين ممن شارك في الحملات الصليبية الشرقية يذهبون إلى الأندلس بعد عودتهم من الشرق للقتال إلى جانب الإسبان، مستخدمين تقنيات المعارك نفسها التي استخدمها الصليبيون في هجومهم على مدن المشرق الإسلامي[٣].

ولقد كان لفاعلية مشاركة الفرنسيين في حروب الإسبان ضد مسلمي الأندلس، وأيضًا قرب الأراضي الفرنسية من ممالك شمال إسبانيا، أكبر الأثر في اتخاذ البابوية لمدن الجنوب الفرنسي قواعد لانطلاق حملات صليبية ضد الأندلس، كما حدث في مدينة تولوز الفرنسية التي أعلن منها البابا جيلاسيوس الثاني[٤] Gelasius II (٥١٢-٥١٣هـ/١١١٨-١١١٩م) حملة صليبية ضد مسلمي سرقسطة في عام ٥١٢هـ/١١١٨م، واشتركت في هذه الحملة حشود كبيرة من الفرنسيين وصفت أعدادها كالنمل والجراد لكثرتها[٥]، وقيل إن عدد الفرسان الفرنسيين وحدهم بلغ خمسين ألفًا[٦]، واتجهت هذه الجموع الكبيرة للقتال إلى جانب ملك أرغون ألفونسو المحارب[٧]Alfonso the Batallador(٤٩٨-٥٢٩هـ/١١٠٤-١١٣٤م) ونتج عنها سقوط سرقسطة بيد النصارى[٨]، وظلت تحت سيطرتهم إلى هذا اليوم.

---

[١] محمد المطوي، الحروب الصليبية، ص١٩٠-١٩١.

[٢] محمد المطوي، الحروب الصليبية، ص١٩٠-١٩١.

[٣] عادل بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص ٥٨؛ محمد المطوي، الحروب الصليبية ، ص١٩٠.

[٤] جيلاسيوس الثاني: اسمه جون من أسرة غيتاني النبيلة، تعلم في دير مونتي كاسينو، وخدم مستشاراً للكرسي الرسولي، وانتخبه الكرادلة بابا بعد وفاة البابا باسكال الثاني بدون إذن الإمبراطور هنري الخامس الذي عيّن بابا بدلاً عنه وهو جريجوري الثامن، فهرب البابا جيلاسيوس الثاني من سطوة الإمبراطور إلى فرنسا وتوفي في كلوني.

" Gelasius II',Catholic Encyclopedia Online ,From: https://www.newadvent.org/cathen/ access date, November ١٦,٢٠٢٠.

[٥] ابن أبي زرع، علي بن عبدالله الفاسي،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**،د.ط(الرباط:دار المنصور،١٩٧٢م) ، ص١٦٣.

[٦] الحميري، الروض المعطار، ص٣١٧.

[٧] ألفونسو المحارب: ابن سانشو الرابع راميريز ملك أرغون، تزوج اوراكا ابنة ألفونسو السادس ملك قشتالة وبعد وفاة الأخير حدث توحد للممالك الإسبانية تحت حكم ألفونسو المحارب لكنه فشل بسبب العداوات بين مملكتي قشتالة وأرغون، مات متأثراً بجراحه في معركة إفراغة ضد مسلمي الأندلس عام ٥٢٩هـ/١١٣٤م.

"Alfonso the Batallador ",Encyclopaedia,Britannica,Online From:http://global.britannica.com,access date November ,١٦ ٢٠٢٠.

[٨] عادل بشتاوي،الأندلسيون المواركة، ص٥٧؛ محمد المطوي، الحروب الصليبية ، ص١٩٠.

وعندما أصبحت معظم أراضي الأندلس بأيدي نصارى الإسبان في بداية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي بدأت تقل حاجة الإسبان للدعم الفرنسي وأصبح غير مطلوب بالدرجة نفسها التي كان عليها في السابق(١).

أما النورمانديون فقد غادر بعضهم إسبانيا بعد استرداد المسلمين لمدينة بربشتر في عام ٤٥٧هـ/١٠٦٤م وتوجهوا إلى صقلية وبيزنطة للبحث عن مصادر ثراء أخرى، ولم يلبثوا سوى سنوات قليلة حتى قل اهتمام غالبية النورمانديين بحروب الاسترداد الإسبانية وذلك لسببين: الأول: هو تفضيلهم الاشتراك في الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي(٢)، أما الثاني: فهو انشغالهم في حروبهم في إنجلترا لتكوين دولة لهم تكون قريبة من مواطنهم الأصلية(٣)، ولكن بقيت عائلات نورماندية ارتبطت بعلاقات مصاهرة مع بعض الممالك الإسبانية، واستمرت في تقديم العون للإسبان في حروبهم ضد مسلمي الأندلس، كما حدث في الحملة الصليبية على سرقسطة في عام ٥١٢هـ/١١١٨م التي كانت بقيادة ألفونسو المحارب، وساعده فيها نبلاء نورمانديون إلى جانب الفرنسيين(٤).

واستمرت حالة التدهور السياسي والعسكري في الدويلات الإسلامية في الأندلس، وظل حكامها على ما كانوا عليه من تنازع وصراعات سياسية، بل إن بعضهم استغل الاضطرابات التي تحدث في دويلة مجاورة له جراء هجوم النصارى عليها ليقوم باحتلالها وضمها لدويلته، ويمثل هذه الحالة حاكم طليطلة(٥) Toledo الذي احتل بلنسية عقب هجوم ملك قشتالة فرناندو الأول عليها، وقيل إن فرناندو الأول هو من ساعده وسهّل له احتلالها ليحكمها باسمه؛ إذ كان حاكم طليطلة من أتباعه يدفع له الإتاوات سنوياً(٦).

ولم تختلف الحال في دويلة الثغر الأعلى عن بقية مدن الأندلس، فبعد نجاح أحمد المقتدر بالله في استرداد بربشتر ازداد نفوذه بين عامة الأندلسيين في الثغر الأعلى، واستمر في الوقت نفسه في حروبه ضد أخيه يوسف المظفر، واستعان فيها بجنود نصارى من مملكة نبارة وقطلونية، وانتهت الحرب بين الأخوين بانتصار أحمد المقتدر بالله وانتزاعه حكم مدينة لاردة من أخيه، وقيامه بأسره وحجزه في سجن قلعة مدينة منتشون وقيل مدينة روطة(٧) Rueda إلى أن مات في السجن في عام٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م(٨).

---

(١) عادل بشتاوي ،المرجع السابق،ص ٥٨.

(٢) ترى الباحثة أن هذا قد يكون سببه أن النورمانديين يستطيعون من خلال حروبهم في الشرق الإسلامي تكوين مناطق سياسية لهم ينهلون خيراتها ويستلبون ثرواتها بلا حساب، في حين أن هذا غير ممكن في حروبهم في الأندلس لأنه سيضعهم في صدام مع الإسبان الذين يرون أن الأندلس أرضهم وهم أولى بثرواتها من غيرهم.

(٣) مواطن النورمانديين الأصلية هي شبه جزيرة اسكندنافيا أو سكندناوة وهي المنطقة الواقعة شمال أوروبا ، وتشمل كلًّا من الدنمارك ، النرويج ، السويد و أحياناً تضم فنلندا، للمزيد انظر: سعيد عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى،ص١٧٣-١٧٨.

١ Villegas-Aristizabal, Lucas, Norman and Anglo-Norman Participation in the Iberian Reconquista, ٨٦-١٠١.

(٥) طليطلة: مدينة في مركز الأندلس، كانت دار ملوك الأندلس، عرفت بحصانتها ومعنى اسمها باللاتيني (فرحة ساكنيها) لمناعتها، الروض المعطار،ص ٣٩٣- ٣٩٤.

(٦) محمد عنان، دولة الإسلام،ج٢،ص١٧٨، ٢٢٤، ٣٨٦.

(٧) روطة: من حصون سرقسطة تقع على نهر شلون. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٩٦.

(٨) محمد عنان، دولة الإسلام، ج ٢، ص ٢٨٠

ولم يكتف أحمد المقتدر بالله ببسط نفوذه في الثغر الأعلى، وأخذ يوسع دويلته على حساب أراضي دويلات ساحل شرق الأندلس المجاورة، ومع ازدياد اعتماده على المرتزقة النصارى من الممالك الإسبانية زادت الأعباء المالية على عاتقه؛ فأرهق رعيته بالضرائب لدفع الأموال لملوك النصارى ومرتزقتهم، وازداد جبروته، وحينما دخل أحد العلماء عليه في قصره ووعظه، ليكف عن دفع الأموال والإتاوات للنصارى، غضب عليه أحمد المقتدر بالله وأمر بقتله؛ إذ خاف أن يحذو الناس حذوه فتقل هيبته في نفوسهم[١]، فشابه بقتل العلماء ما صنعه في وقت سابق حاكم دويلة إشبيلية المعتضد بالله[٢].

وأيقن جماعة من علماء الأندلس أن استمرار حكم هؤلاء الحكام سيجر الهلاك على المسلمين لامحالة مع تعنتهم بالمجاهرة بالمعاصي والخنوع للنصارى ورفضهم النصيحة، فولوا وجوههم شطر بلاد المغرب التي نما إلى علمهم خبر قيام دولة فيها ذات منهج قويم ، وهي دولة المرابطين[٣]، وأخذوا يرسلون لقائدها الأمير يوسف بن تاشفين[٤](٤٦٣هـ-٥٠٠هـ/١٠٧٠م-١١٠٦م) يستغيثونه أن يرفع عنهم ما أصابهم من ذل وهوان على أيدي النصارى بسبب سياسات حكامهم، وأصبحت الدعوات للاستغاثة بالمرابطين تياراً جارفاً عند عامة الأندلس ازداد بعد سقوط كبرى حواضر وسط الأندلس وهي مدينة طليطلة بيد ملك قشتالة في عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م[٥].

لقد هز سقوط دويلة طليطلة الأندلسيين لوقوعها في قلب الأندلس، وأصبح قرابة ثلثي بلاد الأندلس بيد الممالك النصرانية، ولهذا ظن ملك قشتالة أن بيده الاستيلاء بسهولة على بقية دويلات الطوائف، لاسيما القريبة منها وهي قرطبة وإشبيلية، فبادر حكامها مع علماء الأندلس وعامتها بمراسلة المرابطين لطلب الاستغاثة، وحينها تقرر دخول الجيوش المرابطية بقيادة يوسف بن تاشفين إلى الأندلس، وانضمت لها فرق عسكرية من بعض دويلات الطوائف، وحدثت مواجهة ضد نصارى الإسبان الذين كان يقودهم ملك قشتالة آنذاك وهو ألفونسو

---

[١] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٧١.

[٢] سبق الإشارة إلى هذه الحادثة فيما سبق من البحث.

[٣] دولة المرابطين: تأسست دولة المرابطين في المغرب الأقصى من قبل قبيلة لمتونة إحدى بطون صنهاجة من البربر البرانس، وأول أمرائهم يحيى بن عمر اللمتوني(ت ٤٤٨هـ/١٠٥٥م) وسموا مرابطين لأنهم قد أقاموا في بدايتهم رباطاً يجتمعون فيه لتعلم أصول الدين الإسلامي من الداعية عبدالله بن ياسين(ت٤٥٠هـ/١٠٥٧م) . ابن عذاري،البيان،ج٤،ص ١١-٦٣؛النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق :عبدالمجيد ترحيني، د.ط ،(بيروت :دار الكتب العلمية، دت)،ج٢٤، ص ١٣٩ وما بعدها؛ ابن خلدون،ديوان المبتدأ،ج٤ ،ص١٥٨، ١٦٦، ١٨٣،ج٦،ص ٢٠١، ٢٤٣-٢٤٤.

[٤] يوسف بن تاشفين: هو أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني،اختط مدينة مراكش وكان حاكماً عادلاً . ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه إحسان عباس،د.ط (بيروت:دارصادر،د.ت)،ج٧، ص ١١٢-١١٣، ١٢٥.

[٥] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٤١-٢٤٤؛ عبدالرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٩١-٣٩٩.

السادس[١] Alfonso VI (٤٥٨-٥٠٣هـ/١٠٦٥-١١٠٩م) في معركة الزلاقة الشهيرة[٢] في عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، وانتصر فيها المسلمون وتوقف الزحف النصراني على دويلات الطوائف فترة من الزمن[٣].

وعادت الجيوش المرابطية إلى المغرب بعد معركة الزلاقة وتركت في الأندلس حاميات صغيرة من الجنود المرابطين في خدمة حكام دويلات الطوائف لعلهم يرجعون إلى رشدهم ويحافظون على ما بقي من إسلام في تلك البلاد، لكن الخطب تفاقم على مسلمي الأندلس مع عودة حكام دويلات الطوائف إلى ظلالهم القديم بالاستعانة بالنصارى عدو الأمس القريب، فضيّقوا على جنود المرابطين وقطعوا المدد عنهم؛ إذ لطالما توجسوا من المرابطين وخافوا أن ينافسونهم في أملاكهم وضياعهم، وعندها أصدر علماء الأندلس والمغرب فتاوى أجازت ليوسف بن تاشفين الزحف إلى بلاد الأندلس، وخلع حكام دويلات الطوائف لفسادهم وخطرهم على وجود الإسلام في البلاد الأندلسية، فبادر يوسف بن تاشفين وجهز الجيوش المرابطية ودخل الأندلس، وبدأ بخلع أولئك الحكام واحداً تلو الآخر، لكنه أبقى على حاكم الثغر الأعلى من بني هود وقبل منه هديته، وانتهى بذلك عهد دويلات الطوائف ابتداء من عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م ، ودخلت الأندلس عهداً جديداً سمي عهد المرابطين[٤].

ويدل إبقاء المرابطين على حاكم الثغر الأعلى، وعدم محاولة خلعه في البداية، أنهم كانوا مدركين لخطورة موقع هذه المنطقة الإسلامية، فهي قريبة من ممالك نصارى إسبانيا وخطوط إمداداتهم من الصليبيين خلف ممرات جبال البرتات، الأمر الذي يعني سهولة إحاطة الجيوش الصليبية بها، كما أن عامة مسلمي الثغر الأعلى ليسوا بحاجة لأدنى اضطراب يحدث بينهم وبين غيرهم من المسلمين من الوارد أن يستغله النصارى ويخترقوا من خلاله صفوفهم ويعجل بهلاكهم، كذلك بُعد منطقة الثغر الأعلى عن مدن الجنوب الأندلسي فضلاً على شاطئ المغرب يضفي صعوبة بالغة على الجيش المرابطي للوصول إليها، فخطوط الإمدادات ستكون طويلة ومكلفة بالنسبة لدولة ناشئة مثل دولة المرابطين، كما أنها تستلزم منهم التوغل في أرض جديدة يجهلون دروبها.

ولم يلبث حاكم دويلة الثغر الأعلى أن استعان بالنصارى، مما اضطر الجيوش المرابطية إلى الزحف إليه لخلعه، واستطاعت الاستيلاء على عاصمة الثغر مدينة سرقسطة في عام ٥٠٣هـ/١١٠٩م، لكن لم يستطع المرابطون الدفاع طويلاً عن سرقسطة وبقية الثغور الشمالية، التي انعزلت عن بقية مدن الأندلس في الجنوب بعد سقوط طليطلة، كما أنهم لم يتمكنوا من استرداد طليطلة نفسها، ومع تنامي قوة جيوش نصارى الإسبان، إضافة إلى استمرار وفود كثير من الصليبيين إليهم يحملون خبرات قتالهم في المشرق، ازداد الضغط

---

[١] ألفونسوالسادس: هو الابن الثاني للملك فرناندو الأول ملك ليون وقشتالة وسانشا الليونية ابنة ألفونسو الخامس ملك ليون ، بوفاة والده، قُسمت مملكته بين أبنائه، فكان نصيب ألفونسو ليون، بينما تُوّج شقيقيه سانشو ملكًا على قشتالة وغارسيا على جليقية، توفي ألفونسو السادس عام٥٠٣هـ/١١٠٩م.
"Alfonso VI",Encyclopaedia,Britannica,Online From:http://global.britannica.com,access date November ,١٦ ٢٠٢٠.

[٢] معركة الزلاقة: اشتق اسمها من مكان وقوعها وهو بطحاء الزلاقة في سهل بطليوس من غرب الأندلس،وقاد المسلمين فيها زعيم المرابطين وقتئذ وهو يوسف بن تاشفين،أما الجيش النصراني فكان قائدهم هو ألفونسوالسادس بن فرناندو الأول . الحميري،الروض المعطار،ص٢٨٧.

[٣] الحميري،الروض المعطار،ص٢٨٨-٢٩٠؛ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ،ص ٢٤٥-٢٤٦.

[٤] الحميري،الروض المعطار،ص٢٨٨؛ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ،ص ٢٤٦-٢٤٧؛ ابن خلدون،ديوان المبتدأ، ج٦،ص٢٤٨-٢٥٠؛ عبدالرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي، ص٤٠، ص٤٢١-٤٢٤.

علـى مسـلمي الثغـر الأعلـى، وبـدأ الانحسـار السـريع للنفـوذ الإسـلامي فـي منطقـة الثغـور الشـمالية، بعـد سـقوط طليطلـة بسـنوات قليلـة فقـط، فسـقطت بربشـتر بيـد النصـارى فـي عـام ٤٩٥هـ/١١٠١م، في حين سقطت سرقسطة في عام ٥١٢هـ/١١١٨م[١].

لقـد تلقـب يوسـف بـن تاشـفين بلقـب أميـر المسـلمين ولـم يأخـذ لقـب أميـر المـؤمنين أو يعلـن نفسـه خليفـة بـل ظـل تابعـاً للخليفـة العباسـي فـي المشـرق الإسـلامي [٢]، وعليـه فـإن دخـول مـا بقـي مـن الأنـدلس الإسـلامية تحـت سـيطرة المـرابطين يعنـي أنهـا أصـبحت تابعـة لأول مـرة فـي تاريخهـا للخلافـة العباسـية -وإن كانـت هـذه التبعيـة اسـمية- وذلـك منـذ أن كانـت أمويـة ابتـداء مـن افتتاحهـا في عام ٩٢هـ/١١٧م حتى سقوط الحكم الأموي فيها في عام ٤٢٢هـ/١٠٣٠م[٣].

---

[١] يـاقوت الحمـوي،معجم البلـدان،ج٣ ،ص٢١٣؛ ابـن خلـدون، المصـدر السـابق،ج٦،ص٢٥٠.، عـادل بشـتاوي، الأندلسيون المواركة ، ص ٥٨؛ عبدالرحمن الحجي،التاريخ الأندلسي، ص٤٢٨.

[٢] ابن خلدون، ديوان المبتدأ، ج٦، ص٢٥٠.

[٣] الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٦،ص٤٦٨؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٠٩.

خـــــاتـــمة البحث

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١-تعد الحملة الصليبية على بربشتر في عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م أولى الحملات الصليبية قاطبة التي دعت إليها البابوية في تاريخها ضد المسلمين، وقد سبقت الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي بما يزيد عن ثلاثين عاماً.

٢- شُبّهت الحملة الصليبية على بربشتر بالحملة الصليبية الأولى ضد المشرق الإسلامي في كوْن محركها الرئيسي معركة انتصر فيها المسلمون وهددوا وجود كيان نصراني، وتمثل هذا الكيان في حالة الحملة الصليبية على بربشتر بمملكة أراغون.

٣-طغت الدوافع الاقتصادية وراء تحرك الصليبيين في هذه الحملة على الدوافع الدينية لاسيما عند النورمانديين؛ إذ كانت الأندلس في عهد دويلات الطوائف قد بلغت أوجها فيما وصلت إليه من إرث حضاري وازدهار اقتصادي جاء نتاج العهود الماضية في تاريخها.

٤- برز الدور الفرنسي بقوة في الحملة الصليبية على بربشتر، وشكلت الأراضي والمدن الفرنسية منصات لعقد مؤتمرات تجييش الجيوش وانطلاقها لمحاربة مسلمي الأندلس إلى جانب نصارى إسبانيا، واستمر الدور الفرنسي فاعلاً في حروب الاسترداد الإسبانية في فترات لاحقة بعد الحملة الصليبية على بربشتر.

٥-ظهر أثر الصراعات الداخلية بين حكام دويلات الطوائف واضحاً في ضعف مقاومة أهالي الثغر الأعلى لعدوان الصليبيين على بربشتر، كما كانت الانقسامات السياسية بين تلك الدويلات عميقة إلى الحد الذي لم يتحرك فيه أي جيش من جيوشها لإنقاذ بربشتر وكأنها ليست من بلاد الأندلس.

٦-على الرغم من حالة الفساد والوهن المستشرية في المجتمع الأندلسي في عهد دويلات الطوائف، التي طالت طبقة الحكام وبعض الفقهاء، إلا أن الحملة الصليبية على بربشتر أبرزت أدواراً سياسية لفئة قليلة من فقهاء الأندلس حاولوا إصلاح حال الحكام من خلال تقديم النصيحة لهم ودعوتهم إلى الوحدة والجهاد في سبيل الله ونبذ الخلافات، لكن جهود أولئك الفقهاء لم تثمر واستمر الوضع السياسي في الأندلس في حالة تدهور استفاد منها نصارى إسبانيا، حتى تمكنوا من الاستيلاء على كبرى دويلات الطوائف وهي دويلة طليطلة.

٧-حينما يئست فئة من علماء الأندلس وعامتهم من صلاح حال حكامهم وأيقنوا بعجزهم عن دفع عدوان النصارى عن مدنهم وقراهم، وجهوا رسائل الاستغاثة إلى دولة المرابطين في المغرب بقيادة يوسف بن تاشفين الذي استجاب لنداء استغاثتهم.

٨-قل اهتمام النورمانديين في الاشتراك في حروب الاسترداد الإسبانية بعد الحملة الصليبية على بربشتر.

٩-ازداد ارتباط إسبانيا بالبابوية بعد الحملة الصليبية على بربشتر، وازدادت شدة وضراوة حروب الاسترداد الإسبانية، وأصبح من المعتاد معاونة الصليبيين من أنحاء أوروبا كافة للإسبان في حروبهم ضد ما بقي من دولة الإسلام في الأندلس.

١٠-من الممكن القول أن من دوافع تحرك المرابطين للقتال إلى جانب مسلمي الأندلس الدافع الديني؛ فالطرفان تجمعهما رابطة الأخوة الإسلامية، إضافة إلى ذلك هنالك الدافع السياسي والإستراتيجي؛ إذ ترى الباحثة أن بلاد الأندلس تُعدّ خط دفاع أول لبلاد المغرب أمام الأخطار القادمة من أوروبا، وفي المقابل تُعدّ بلاد المغرب خط دفاع أول ضد الأخطار التي تهدد الأندلس من ناحية الجنوب، وعليه يمكن القول أن الترابط الحاصل بين الموقع الجغرافي للأندلس والمغرب لعب دوراً إستراتيجياً في رسم سياسات الدول الحاكمة في هذين البلدين تجاه بعضهما على مر العصور.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

ابن الأبار،أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي،(ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)
الحلة السيراء،حققه وعلق حواشيه:حسين مؤنس،ط٢، (القاهرة :دار المعارف،١٩٨٥م).
ابن الأثير،أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني،(٦٣٠هـ/١٢٣٣م)
الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق،د.ط،(بيروت :دار الكتب العلمية،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
الإدريسي،محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس، (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،د.ط،(القاهرة:مكتبة الثقافة الدينية،١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني، (٥٤٠هـ/١١٤٧م)
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق:إحسان عباس،د،ط ،(بيروت:دار الغرب الإسلامي،٢٠٠٠م).
ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك،(٥٧٨هـ/١١٨٣م).
الصلة في تاريخ أئمة الأندلس،عني بنشره وصححه وراجع أصله:السيد عزت العطار الحسيني،ط٢ ،(د.م:مكتبة الخانجي،١٣٧٤هـ/١٩٥٥م).
البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي،(ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م).
المسالك والممالك،د.ط ،(د.م:دار الغرب الإسلامي،١٩٩٢م).
ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري، (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م)
جمهرة أنساب العرب ،(بيروت:دار الكتب العلمية،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس،(بيروت:المؤسسة العربية،١٩٨١م).
الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله، (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م).
جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس،د.ط،(القاهرة:الدار المصرية للتأليف والترجمة ،١٩٦٦م).
الحميري، محمد بن عبدالمنعم، (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)
الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق:إحسان عباس،ط٢،(بيروت:مكتبة لبنان،١٩٨٤م).
ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي،(ت بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م).
صورة الأرض،د.ط،(بيروت:دار مكتبة الحياة،١٩٩٢م).
ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي ،(ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م)
المقتبس في أخبار بلد الأندلس،ويعرف أيضاً بـ (المقتبس من أنباء أهل الأندلس) أو (المقتبس من تاريخ الأندلس)
تحقيق:ب.شالميتا،ف.كورينطي،م.صبح،د.ط،ج٥،(مدريد:المعهد الأسباني العربي للثقافة،الرباط:كلية الآداب،١٩٧٩م).
ابن الخطيب ،لسان الدين السلماني،(ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م).
أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام،تحقيق وتعليق:إ.ليفي بروفنسال،ط٢،(بيروت:دار المكشوف،١٩٥٦م).
ابن خلدون، عبدالرحمن، (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م).
تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ،ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس:خليل شحاته ،مراجعة:سهيل زكار،د.ط،(بيروت:دار الفكر،١٤٢١هـ،٢٠٠٠م).
ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد،(ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م).
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،حققه إحسان عباس،د.ط، ،(بيروت:دارصادر،د.ت).
الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

سير أعلام النبلاء،أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه:شعيب الأرناؤوط،حقق هذا الجزء:محمد نعيم العرقسوسي،ط٢،(بيروت:مؤسسة الرسالة،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
ابن أبي زرع، علي بن عبدالله الفاسي،(ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م).
الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،د.ط(الرباط:دار المنصور،١٩٧٢م) .
الزهري، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، (ت ٥٤٩هـ/١١٥٤م).
كتاب الجغرافية،تحقيق:محمد حاج صادق،د.ط،(بورسعيد:مكتبة الثقافة الدينية،د.ت).
ابن سعيد ، أبو الحسن علي بن موسى المغربي،(ت ٦٨٥هـ/١٢٨٤م)
كتاب الجغرافيا،حققه ووضع مقدمته وعلق عليه:إسماعيل العربي،(بيروت:المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٧٠م).
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير،(ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).
تاريخ الرسل والملوك،.ط٢،(بيروت:دار التراث،١٣٨٧هـ).
ابن عذاري المراكشي، (ت نحو ٦٩٥هـ/١٢٩٥م).
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تحقيق ومراجعة:ج.س.كولان،إ. ليفي بروفنسال،(بيروت:دار الكتب العلمية،٢٠٠٩م).
القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي ،(ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م)
ترتيب المدارك وتقريب المسالك،المحقق: سعيد أحمد أعراب (المغرب:مطبعة فضالة ،١٩٨١-١٩٨٣م).
ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر،(ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م).
تاريخ افتتاح الأندلس،تحقيق:إبراهيم الأبياري،د.ط،(القاهرة :دار الكتاب المصري،بيروت:دار الكتاب اللبناني،١٤١٠هـ/١٩٨٩م).
المقري، أحمد محمد التلمساني،(ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م).
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب،شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له:مريم قاسم طويل،يوسف علي طويل،ط٢،(بيروت:دار الكتب العلمية،١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).
النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م).
نهاية الأرب في فنون الأدب،تحقيق :عبدالمجيد ترحيني،د.ط،(بيروت :دار الكتب العلمية،دت).
ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله بن عبدالله،(ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م)
معجم البلدان،د.ط،(بيروت:دارصادر،داربيروت،١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
معجم الأدباء ،المحقق: إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي،١٤١٤ هـ) .
مؤلف مجهول.
نبذة العصر في أخبارملوك بني نصر،تحقيق: ألفريد البستاني، (بورسعيد:مكتبة الثقافة الدينية،١٤٢٣هـ).

المترجمة:

إينهارد،سيرة شارلمان،ترجمه وحققه وعلق عليه وقدم له:عادل زيتون،د.ط،(دمشق:دار حسان للطباعة والنشر،١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

ثانياً: المراجع العربية:

أرسلان، شكيب، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط،د.ط،(بيروت:دار الكتب العلمية،د.ت).
أشباخ، يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة:محمد عبدالله عنان،د.ط (القاهرة: المركز القومي للترجمة،٢٠١٤م).
بشتاوي، عادل سعيد، الأندلسيون المواركة،(القاهرة:انترناشيونال برس،١٩٨٣م).

توفيق، عمر إبراهيم، صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة(سياسياً واجتماعياً وثقافياً)،(عمان:دار غيداء،٢٠٠٩م).
الحجي، عبدالرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م،ط٥،(دمشق:دار القلم،١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
الحسيني، قاسم عبد سعدون ، حركة الاسترداد الإسبانية: ثنائية الصراع بين المسلمين والنصارى في الأندلس، (عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠٢٠م).
سالم ،السيد عبدالعزيز،أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس،د.ط،(بيروت :دار النهضة العربية،١٩٦٩م).
سيسالم، عصام سالم، جزر الأندلس المنسية ،التاريخ الإسلامي لجزر البليار،٨٩-٦٨٥هـ/٧٠٨-١٢٨٧م، (بيروت:دار العلم للملايين،١٩٨٤م).
الصلابي، علي محمد ، دولة السلاجقة، (لبنان: المكتبة العصرية،٢٠٠٩م) .
عاشور، سعيد عبدالفتاح، أوروبا في العصور الوسطى،د.ط،(بيروت:دار النهضة العربية،١٩٧٢م).
عمران، محمود سعيد، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى،د،ط،(د.م:دار المعرفة الجامعيةد.ت).
ـــــــــــــــ تاريخ الحروب الصليبية (مصر: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م) .
عنان ،محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس ،ط٤،(القاهرة:مكتبة الخانجي،١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
قاسم ،فدوى عبدالرحيم، الرثاء في الأندلس عصر ملوك الطوائف،(الأردن:جامعة النجاح،١٤٢٣هـ).
مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس،د،ط،(د.م: مكتبة الأسرة ،٢٠٠٤م).
المطوي، محمد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب،ط٢،(د.م:دار الغرب الإسلامي،١٩٨٠م).

الأجنبية:

Scott.G.Bruce . Cluny and the Muslims of La Garde-Freinet,(Ithaca and London:Cornell University Press,٢٠١٥).

ثالثاً: الدوريات العربية:

الكبيسي، خليل إبراهيم: غزوات النورمانيين على الأندلس في عصر الإمارة الأموية،المؤرخ العربي،السنة الرابعة عشرة،العدد ٤٠،(١٤٠٩هـ=١٩٨٩م).

الأجنبية:

Charles Julian Bishko, Fernando I and the Origins of the Leonese-Castilian Alliance With Cluny ,study II,Cuadernos de Historia de España ٤٧ (١٩٦٨), ٣١-١٣٥ and ٤٨.From: THE LIBRARY OF IBERIAN.

رابعاً: الأبحاث المنشورة

Mohammad Ballan,Fraxinetum:an Islamic Frontier State In The Tenth-Century Provence,Comitatus:A journal Of Medieval and Renaissance Studies,٤١(٢٠١٠).
Villegas-Aristizabal, Lucas ,Norman and Anglo-Norman Participation in the Iberian Reconquista c.١٠١٨-c.١٢٤٨,(Nottingham: University of Nottingham Press, ٢٠٠٧).

خامساً: المواقع الإلكترونية:

الموسوعة البريطانية http://global.britannica.com

الموسوعة الكاثوليكية https://www.newadvent.org/cathen
الموسوعة الفرنسية http://www.larousse.fr/dictionnaires.